# الشرف المؤبد

## لآل محمد ﷺ

تأليف

يوسف بن إسماعيل النبهاني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ


الشرف المؤبد
لآل محمد ﷺ




تأليف

يوسف بن إسماعيل النبهاني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

النبهاني ، يوسف بن اسماعيل بن يوسف ، ١٨٤٩-١٩٣٢
الشرف المؤبد لآل محمد / يوسف بن اسماعيل النبهاني
- ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
١٦٠ ص ، ٢٤سم
تدمك : 977-341-336-0
١- اهل بيت الرسول
أ- العنوان

ديوى : ٢٣٩,٨

رقم الايداع : ٢٠٠٧/١٣٨٤١

الحمـد لله الذى طهّر أهل بيت نبـينا من كل رجس وآتاهم من لدنه فـضلا كبـيرا * فقـال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب] * والصـلاة والسلام على سيـدنا محمد المبـعوث من افضل قبيلة * وأكرم فصيلة * وعلى آله الأشراف السادة * وأصحابه الأئمة القادة * ﴿أما بعد﴾ فيقول الفقيـر يوسف بن إسماعيل النبهانى عفا الله عنه: إن من أهم الأمور الدينية * وآكد العقائد الإسلامية * اعـتقاد أن سيدنا محمدا ﷺ أفضل من كل ملك ورسول * وأصوله وفروعه أشرف فروع وأصول * كيف لا وقد اتصلت بنسبه أنسابهم * وارتبطت بحسبـه أحسابهم * فهم منه وإليه * وأقرب الناس لديه * ولا ريب فى أن محبته ﷺ فرض على كل موحّـد * مجتهد ومقلد * وبحسب زيادتها ونقـصانها تكون زيادة الإيمان ونقـصانه * ومن ادعى الإيمان بدونهـا فقد عظم نفاقه وبهتانه.

ومن محبتـه عليه الصلاة والسلام محبـة من اتصلوا به * ورجعت أنسابهم كآبائه وأبنائه إلى نسـبه * أما آباؤه فقـد انقضت أعصارهم * وبقـيت أخبارهم * فمن ادعى محبتهم لأجله فـلا تثريب عليه * وتسلم دعواه إليه * إذ لا دليل على بطلان دعواه * ويوكل أمر باطنه إلى الله.

وأما أبناؤه فـهم بركة هذه الأمة * الكاشـفون عنها من غـياهب الكون كل غمة * فلا بد وأن يوجد فى كل عـصر طائفة منهم يدفع الله بها عن الناس البلاء * فإنهم أمـان لأهل الأرض كما أن النجوم أمـان لأهل السماء * فمن عـاصرهم وادعى محبتهم بزخارف أقواله * ولم يقم عـلى دعواه البراهين من محاسن أفعاله * فدعواه فاسدة باطلة * ومـن حلى الصحة عاطلة * هذا إذا لم يؤذهم بقلم ولا لسان * ولم يشر إلى تنقيصهم بعيـن ولا بنان * أما من فعل ذلك وادعى محبتهم فلا أحسبه إلا مجنونا * وبدينه مفتونا.

ومن هذا القبيل ما وقع فى عصرنا فى القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين والف هجرية من قوم جهال * غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمد فى أوحال * فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار فى فضل أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحى ومنبع الحكمة ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة * وآرائهم الذميمة * ومع ذلك فقد زعموا أنهم لأهل البيت من أهل المحبة والوداد * ولم يعلموا أنهم هائمون من الخذلان فى كل واد.

ولما أراد الله سبحانه تمام غوايتهم قدّر لهم الاطلاع على كتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذى وقد أتى فيه رضى الله عنه بتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقوله ﷺ: «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى» الحديث. وقوله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض بأقاويل ظاهرها مخالف لما عليه جمهور العلماء فزعم أن الآية الكريمة خاصة بالزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين * وشنع على من ذهب إلى غير ذلك من المفسرين * وأغرب من هذا دعواه فى الحديث الأول حديث الثقلين أن المراد من أهل البيت فيه الأئمة * وفقهاء الأمة * ومثله غرابة أو أغرب زعمه فى الحديث الثانى أن أهل بيته ﷺ فيه هم الأبدال لا الذرية * ومنع أن تكون فى العنصر الطاهر هذه المزية * وإنى على يقين من أنه رحمه الله على تقدير ثبوت ذلك عنه * وتحقق صدوره منه * من استبعاد صحة نسبته إليه * وقرب احتمال دسه عليه * لم يقصد به إلا إحقاق الحق على وجه السداد * بحسب ما أداه إليه الاجتهاد * وأرجو أن لا يلحقه بذلك عتاب * وأن لا يفوته على نيته الثواب.

فإنه نفعنا الله به من مشاهير الأئمة * ومصابيح هذه الأمة * ولعله كان فى ما أتى به معذورا * وقد كان ذلك فى الكتاب مسطورا * وعلى كل حال فقد تمّ العمل * وسبق السيف العذل * فأخذ أولئك المخذولون عباراته رحمه الله وصاروا يروجون بها بضاعتهم الكاسدة * ويصلحون بها عقائدهم الفاسدة * ويتمشدقون بها فى مجالس إخوانهم العوام * ويفهمونهم أن لا فرق بين العترة الطاهرة وبين أحد من أهل الإسلام.

فلما شاع أمرهم المذموم * وفشا سر ضلالتهم المكتوم * حملنى على تزييف مدعاهم الباطل الفاسد * وهدم ما استندوا إليه من واهيات القواعد * أمر شريف صدر من أحد أجلاء العصابة المصطفوية * وافق منى بواعث قلبية * ومدعاهم وإن كان بديهىّ البطلان * لا يرتاب فيه أحد ممن شم رائحة الإيمان.

وقد يقال لا حاجة إلى إبطال الباطل * وما هو إلا من قبيل تحصيل الحاصل * فهو منكر وإنكار المنكر أمر واجب * وإماطة البدعة عن المسلمين ضربة لازب * فجمعت هذا الكتاب من كتب الأئمة الإعلام * ونقلت فيه أنموذجا من الكتاب والسنة والآثار فى فضل آله عليه الصلاة والسلام * ولم أقصره على رد تلك الأقاويل الفاسدة * لتتم به الفائده * وسميته (الشرف المؤبد لآل محمد).

وأسال الله العظيم * رب العرش الكريم * أن ينفعنى به والمسلمين * ويحشرنى تحت لواء سيد المرسلين * فى زمرة المحبين له ولآله الطاهرين * وأرجو من أهل العلم والفهم أن يعذرونى فى عدم استيفاء الكلام * ويغتفروا لى زلة القلم إن عثروا عليها: فقلما سلم أحد من زلة الأقلام * ورتبته على ثلاثة مقاصد وخاتمة.

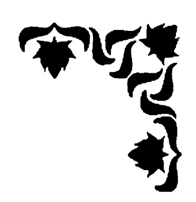
المقصد الأول وهو الحامل على جمع الكتاب فى الكلام على آية إنما يريد الله وحديثى إنى تارك فيكم الثقلين. وأهل بيتى أمان لامتى.

المقصد الثانى فى الكلام على شرفهم ومزاياهم وما اختصهم الله به دون من عداهم.

المقصد الثالث فى الكلام على ما فى حبهم وتوابعه من الفوز العظيم وما فى بغضهم وتوابعه من المرتع الوخيم.

الخاتمة فى بيان فضل الصحابة وأن محبة آل البيت لا تجدى نفعا إذا خالطها بغض أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

* * *

# المقصد الأول

وهو الحامل على جمع الكتاب في الكلام على آية يريد الله، وحديثي: إني تارك فيكم الثقلين، وأهل بيتي أمان لأمتي




قال الله تـعالى: ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

قال الإمام أبو جعـفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسـيره: يقول الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشـاء يا أهل محمـد ويطهركم من الدنس الذى يكون فى معاصى الله تطهيرا. وروى عن ابن زيدان: الرجس ههنا الشيطان.

وذكر ابن الطبـرى بسنده إلى سعيـد بن قتادة أنه قـال قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصـهم برحمـة منه. وقـال ابن عطية: والرجس اسم يقع على الإثم والـعذاب وعلى النجاسات والنقائض، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت.

وقـال الإمام الـنورى قيل: هـو الشك، وقيـل العذاب وقـيل الإثم وقـال الأزهرى: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل وغيره.

واختلف المفسرون فى أهل البيت فى هذه الآية فذهبت طائفة منهم أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم، كما نقله الإمام البغوى وابن الخازن وكثير من المفسرين إلى أنهم هنا أهل العباء وهم رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم.

وذهب جمـاعة منهم ابن عباس وعكرمـة إلى أنهم أزواجه الطاهرات ﷺ. قـال: هؤلاء الآيات كلهـا من قـوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب] منسوق بعـضها على بعض فكيف صـار فى الوسط كلام لغـيرهـن؟ وأجاب عن هذا القـائلون بأن المراد أهل العباء بأن الكلام العـربى يدخله الاستطراد والاعتراض وهو تخلل الجـملة الاجنبية

بين الكلام المتناسق، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ... (٣٥)﴾ [النمل] فقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ جملة معترضة من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس.

وقوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)﴾ [الواقعة] أى فلا أقسم بمواقع النجوم، إنه لقرآن وما بينهما اعتراض، وهو كثير فى القرآن وغيره من كلام العرب وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أن رسول الله ﷺ جاء ومعه على وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ثم لف عليهم كساء، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفى رواية: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِى فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا».

قالت أم سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدى فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال إنك من أزواج النبى ﷺ على خير.

وروى أحمد والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: أُنزِلَتْ هذه الآية فى خمسة فىَّ وفى علىّ وحسن وحسين وفاطمة. وروى من طرق عديدة حسنة وصحيحة عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان بعد نزول هذه الآية يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصَّلَاةَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وعن أبى سعيد الخدرى أنه ﷺ جاءَ أربعين صباحا يعنى بعد نزول هذه الآية إلى باب فاطمة يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وعن ابن عباس سبعة أشهر، وفى رواية ثمانية أشهر. وهذا نص منه ﷺ على أن المراد

من أهل البيت فى هذه الآية هم الخمسة. قالوا ولو كان المراد الزوجات الطاهرات لما قال ليذهب عنكم الرجس ويطهركم بضمير جمع الذكور بل كان اللازم أن يقال ليذهب عنكن ويطهركن، فأجابوا عن هذا بأن التذكير هنا باعتبار لفظ الأهل، فإن لفظه مذكر، ولهذا قال: عنكم ويطهركم. والجمهور على أن المراد من أهل البيت فى الآية ما يشمل الفريقين معا عملا بجميع الأدلة.

قال المقريزى: ومن حجة الجمهور قوله: عنكم ويطهركم بالميم، ولو كان المراد النساء خاصة لكان عنكن ويطهركن. قال ابن عطية: والذى يظهر لى أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة؛ فأهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها. وقال النسفى: وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته. وقال: عنكم لأنه أراد الرجال والنساء من آله بدلالة ويطهركم تطهيرا، وعليه الزمخشرى والبيضاوى وأبو السعود، وهو كذلك فى معالم التنزيل للإمام البغوى. وفى الراوية التى ذكرها عن أم سلمة فقلت: ألَسْتُ منهم يا رسول الله قال: بلى.

وقال الفخر الرازى بعد كلام ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم. واختلفت الأقوال فى أهل البيت والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم؛ وعلىّ منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبى ﷺ وملازمته له اهـ.

وذكر ابن جرير فى تفسيره خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة فى أن أهل البيت فى الآية هم النبى ﷺ وعلى وفاطمة وحسن وحسين ثم أعقبها برواية واحدة فى أن المراد زوجاته الطاهرات ﷺ. ورأيت الإمام الجليل خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطى فى تفسيره «الدر المنثور» قد صدر الكلام عند تفسيره هذه الآية بثلاث روايات فى أن أهل البيت فيها هم أزواجه ﷺ وأعقبها بعشرين رواية

من طرق مختلفة فى أن المراد منهم النبى ﷺ وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين.

منها ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ كان فى بيتها على منامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة ببرمة فيها خَزِيرَةٌ، فقال رسول الله ﷺ ادعى زوجَك وابنَك حسنا وحسينا فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبى ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فأخذ النبى ﷺ بفضلة فغشّاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامّتى، وفى رواية وخاصتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالها ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت راسى فى الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: إنك إلى خير، مرتين.

ومنها ما أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله قالت: خرج النبى ﷺ غداةً وعليه مِرطٌ مُرَجَّلٌ من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء علىّ فأدخله معهم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

ومنها ما أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه عن واثلة بن الأسقع قال: جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه على وحسن وحسين حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك، قال: وأنتَ من أهلى، قال واثلة: إنها لأرجى ما أرجو.

وذكر الإمام الواحدى فى كتابه أسباب النزول الخلاف وذكر فى كل روايتين غير أنه صدر الكلام بقوله: عن عطية عن أبى سعيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نزلت فى خمسة: فى النبى ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين. وثنى بقوله عن عطاء بن أبى رباح قال: حدثنى من سمع أم سلمة تذكر وسرد الرواية التى تقدمت عن الدر المنثور. ثم ذكر الراويتين الأخريين فى أنها نزلت فى الزوجات الطاهرات، وجعل فى تفسيره الآية شاملة للفريقين جمعا بين الروايات، وكذا النيسابورى ذكر فى تفسيره شمولها للفريقين، وذكر فى كل روايات غير أن فى روايته عن أم سلمة فقلت: وأنا منهم، فقال: نعم، ثم قال: قال مقاتل: أزواج النبى ﷺ داخلات فى حكم هذه الآية. وإذا أجتمع المذكر والمؤنث فى موضع غلب المذكر على المؤنث. ولهذا قال: عنكم ويطهركم.

وقال المقريزى: والذى يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال: ويطهركم لأن رسول الله ﷺ وعليا وحسنا وحسينا كانوا داخلين فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، يدل عليه سياق الكلام. ثم قال: ويروى حديث أم سلمة أدخلت رأسى فى الكساء وقلت: وأنا منهم. فقال: نعم. وقال المحقق ابن حجر فى الصواعق أن المراد بالبيت فى الآية ما يشمل بيت النبى ﷺ وبيت سكناه فتشمل الآية أرواجه عليه الصلاة والسلام.

وقال الثعلبى: قيل هم بنو هاشم، فهذا على أن البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم وهو قول زيد بن أرقم كما فى الخازن وغيره. وأعم من هذا ما ذكره العلامة الخطيب فى تفسيره فقال: واختلف فى أهل البيت والأولى فيهم ما قاله البقاعى أنهم كل من يكون من إلزام النبى ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب، وكلما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبى ﷺ أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر ا هـ.

إذا علمت هذا تعلم أن مذهب جمهور المفسرين شمول الآية للفريقين أهل العباء وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين. وقال شيخ الصوفية وإمام العارفين الشيخ الأكبر سيدى محيي الدين بن العربي رضى الله عنه فى الباب التاسع والعشرين من الفتوحات المكية: ولما كان رسول الله ﷺ عبدا محضا قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم. فإن الرجس هو القذر عند العرب، هكذا حكى الفراء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولا بد فإن المضاف إليهم هو الذى يشبههم فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس، فهذه شهادة من النبى ﷺ لسلمان الفارسى بالطهارة والحفظ الإلهى والعصمة حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهر مقدس وحصلت له العناية الربانية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت فى نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة فهذه الآية تدل على أن الله تعالى قد شرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ... ②﴾ [الفتح]، وأى وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ فطهر الله سبحانه نبيه ﷺ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا، ولو وقع منه ﷺ لكان ذنبا فى الصورة لا فى المعنى؛ لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله ولا منا شرعا. فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة ولم يكن يصدق قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضى الله عنهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسى رضى الله عنه إلى يوم القيامة فى حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصا من الله وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا فى الدار الآخرة فإنهم يحشرون مغفورا لهم وأما فى الدنيا فمن أتى

منهم حدا أقيم عليه، كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كماعز وأمثاله، ولا يجوز ذمه.

وينبغى لكل مسلم يؤمن بالله وما أنزله أن يصدق الله تعالى فى قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيعتقد فى جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله تعالى قد عفا عنهم فيه فلا ينبغى لمسلم أن يلحق المذمة بهم ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه، بل بسابق عناية من الله بهم؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وإذا صح الخبر الوارد فى سلمان الفارسى فله هذه الدرجة فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمة بعامله لكان مضافا إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص، انتهى كلام الشيخ الأكبر، فقد صرح كما ترى وهو أمام الصوفية وكفى به حجة بدخول الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضى الله عنهم ومواليهم كسلمان الفارسى رضى الله عنه إلى يوم القيامة فى حكم هذه الآية من الغفران فهم المطرون اختصاصا من الله وعنية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به.

ولا تلتفت بعدما سردته عليك من كلام الأئمة الأعلام إلى ظاهر ما قاله الترمذى الحكيم رضى الله عنه فى نوادر الأصول وتمسك به بعض الجهلة المخذولين من عدم شمول الآية لأهل العباء، وهذه عبارته بعد كلام شنع فيه على الطائفة الزائفة المفتونة وأحسبه عنى بها الغلاة من الشيعة. قال: وتأولوا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ إنما هم على وفاطمة والحسن والحسين وهى لهم خاصة. وكيف يجوز هذا ومبدأ هذا الخطاب قوله عزّ

وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ... ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿...أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ ثم قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ... ﴿٣٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ثم قال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ... ﴿٣٤﴾﴾ وهذا كلام منسوق أثره على إثر بعض فكيف صارت هذه المخاطبات كلها لنساء النبى عليه الصلاة والسلام قبلا وبعدا. وينصرف فى الوسط لغيرهن وهو على نسق ونظام واحد؛ لأنه قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ثم قال على أثره بيوتكن، فكيف صار حرف الكاف الثانى خطابا للنساء والأول لعلىّ وفاطمة رضى الله عنهما وأين ذكرهما فى هذه الآيات؟ فإن قال: أن كان الخطاب لنسائه فكيف قال ليذهب عنكم ولم يقل ليذهب عنكن؟ قلنا: إنما ذكره لأنه ينصرف إلى الأهل والأهل مذكر، فسماهن باسم التذكير وإن كن إناثا.

وقد يروى عن رسول الله ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية دخل عليه علىّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم فعمد النبى ﷺ إلى كساء فلفها عليهم ثم الوى بيده إلى السماء فقال: هؤلاء أهلى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فهذه دعوة منه لهم بعد نزول الآية احب أن يدخلهم فى الآية التى خوطب بها الأزواج رضوان الله عليهم أجمعين، انتهى.

أقول إن كلامه رضى الله عنه غير مسلَّم ليس من حيث قَصْره أهل البيت فى الآية على الزوجات الطاهرات فإن له فى ذلك شركاء من الأئمة وإن قلوا كما علمت ولكن من حيث تشنيعه على القائلين باختصاص فاطمة وزوجها وابنيها بهذه الآية بعباراته الشديدة، فإن كان مراده بهم غلاة الشيعة وهو الظاهر من الأوصاف الذميمة التى وصفهم بها، ويقتضيه حسن الظن به فلا بأس غير أن نسبة هذا القول إليهم خاصة غير صواب؛ فقد تقدم أنه قال به أبو سعيد الخدرى من الصحابة وجماعة من التابعين منهم قتادة ومجاهد الذى قال فيه الإمام الشافعى

رضى الله عنه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وإذا تأملت فى عبارته رحمه الله ظهر لك منها أنه حنق أيضًا على القائلين بشمول الآية لأهل العباء والزوجات الطاهرات معًا، وقد علمت مما تقدم أن هذا مذهب جمهور المفسرين من أهل السنة والجماعة وقد ظهر للذهنى الفاتر تعليل وجيه لشمول الآية لفريقين وهو أنى نظرت إلى سابق هذه الآية ولاحقها من قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فوجدت ضمير جمع النسوة مذكورا فى اثنين وعشرين موضعا عشرين قبلها واثنين بعدها، ولم يأت ضمير جمع الذكور إلا فى عنكم ويطهركم، فلو كان المراد أزواجه ﷺ خاصة لكان اتباع هذين الضميرين للاثنين وعشرين ضميرا أولى وأحرى ليكون الكلام على نسق واحد فلم تحصل المخالفة فيهما إلا لمخالفة المراد منهما للمراد مما قبلهما وبعدهما، ويكون ذلك بشمولها مع الزوجات الطاهرات ما أفصح الحديث بدخلوهم وهم أهل العباء، وأما تذكير لفظ الأهل فغاية ما يقتضيه جواز تذكير الضمير باعتباره كما يجوز تأنيثه أيضًا باعتبار المعنى، ويرجح جانب المعنى هنا إحاطة ضمائر النسوة بهذين الضميرين من كلتا جهتيهما، فإذن لم يعدل عن التأنيث للتذكير فيهما إلا لأمر آخر وهو دخول أهل العباء فى الخطاب وفى الأهل بالمعنى الذى نص عليه رسول الله ﷺ نصا لا يقبل التأويل فى قوله: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وقد قال الحكيم فى آخر عبارته السابقة بعد سرده الحديث الناصّ على دخولهم هذه دعوة منه ﷺ بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم فى الآية التى خوطب بها الأرواج، انتهى.

وكيف يحب رسول الله ﷺ دخول قوم فى آية من كتاب الله لم يدخلهم الله فيها والذى يدل دلالة واضحة على أن المراد من الآية أهل العباء مع الزوجات إن

لم نقل وحدهم الرواية التى أخرجها عن أم سلمة ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه وتقدمت عن الدر المنثور للحافظ السيوطى، وهى أن رسول الله ﷺ كان فى بيتها على مقامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة بِبُرْمَةٍ فيها خَزِيرَةٌ فقال رسول الله ﷺ ادعى زوجك وبنيك حسنا وحسينا فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبىْ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأخذ النبى ﷺ بفضلة فغشَّاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى، وفى رواية وخاصتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة فأدخلت رأسى فى الستر فقلت يا رسول الله وأنا معكم فقال: إنك إلى خير مرتين. فأنت ترى هذه الرواية صريحة فى تخصيص الآية فى أهل العباء، نعم ذكر الإمام البغوى فى معالم التنزيل فى الرواية عن أم سلمة فقلت: ألست منهم يا رسول الله؟ قال: بلى.

وذكر المقريزى رواية عنها قلت وأنا منهم؛ قال: نعم. فهاتان الروايتان مع سابق الآية ولاحقها يدلان على دخول الزوجات الطاهرات فى المراد منها، وحينئذ تكون شاملة للفريقين كما هو مذهب جمهور المفسرين.

فقد تلخص أن فى المراد من أهل البيت فى الآية خمسة أقوال. أولها قول الجمهور أنها شاملة للفريقين وهو الذى عليه الاعتماد. الثانى قول أبى سعيد الخدرى من الصحابة وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة أن أهل البيت فيها هم أهل العباء خاصة. الثالث قول ابن عباس من الصحابة وعكرمة من التابعين أن المراد الزوجات الطاهرات. الرابع ما نقله ابن حجر فى الصواعق عن الثعلبى من أنهم بنو هاشم، على أن البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم، قال فى الخازن وهو قول زيد بن أرقم. الخامس ما نقله

الخطيب الشربينى عن البقاعى قال وهو الأولى من أنهم كل من يكون من إلزام النبى ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب وكل ما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبى ﷺ أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر وحيث قد استوفينا الكلام وأشبعنا النقول على الآية بما لا مزيد عليه فلنشرع فى الكلام على الحديثين.



# فصل

## فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى.

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنه، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد أوتيت خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال زيد: قام رسول الله ﷺ فينا خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: «أما بعد الا أَيُّها النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ ربى فأجيبهُ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكم ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُما كتابَ الله فيهِ الهُدَى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتى أُذَكِّرُكمُ الله فِى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته لكن بيته مَنْ حَرُمَ عليهم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علىّ وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، قال كل هؤلاء حُرِم الصَّدَقَةَ قال نعم.

وفى رواية لمسلم أيضا فقلنا: من أهل بيته نساؤه قال لا وايم الله أن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

قال الإمام النووى فى شرحه: فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف فى معظم الروايات فى غير مسلم أنه قال نساؤه لسن من أهل بيته فتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلا ووعظ فى حقوقهم وذكر، فنساؤه داخلات فى هذا كله ولا يدخلن فى من حرم الصدقة فاتفقت الروايتان ا هـ. وفيه قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما.

وفى النهاية لابن الأثير يقال لكل خطير نفيس ثقل، فسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما.

وفى القاموس: الثقل محركة: كل شيء مصون نفيس. ومنه الحديث إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى. قال الصبان فى «إسعاف الراغبين» ومعنى أذكركم الله فى أهل بيتى احذركم الله فى شأن أهل بيتى. وقال ابن علان فى «شرح رياض الصالحين»: وفى تكريره تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث. وفى الإسعاف ولفظ رواية الإمام أحمد انى أُوشِكُ أَنْ أُدْعى فأُجيب وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود منَ السماء إلى الأرضِ وَعترَتى أهلَ بيتى وَإِنَّ اللطيف الخبيرَ أخبرَنى أنهما لن يتفرَّقا حتى يرِدا علَّى الحوْض يوم القيامة فانظروا فيما تَخلُفونى فيهما. وقوله حبل ممدود المراد منه عهد الله أو السبب الموصل إلى رحمته ورضاه قاله النووى. ورواية جابر رضى الله عنه: أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى.

وقد قصر الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول العترة أهل البيت فى الحديث على أئمتهم وأطال فى ذلك وهذه عبارته قال: الأصل الخمسون فى الاعتصام بالكتاب والعترة وبيانها عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله

ﷺ فى حجته يوم عرفة وهى على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتى أهل بيتى.

وعن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال: لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع خطب فقال: أيها النَّاسُ انهُ قَدْ نبّأنى اللَّطيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُ لَنْ يُعَمرَ نَبىٌّ إلاَّ مِثْلَ نصف عُمُرِ الَّذى يَلِيه منْ قَبْلُ وَإِنى فَرَطكُمْ عَلَى الْـحَوْضِ وَإِنى سَائلكُمْ حِين تَرِدُونَ عَلَىَّ عَنَ الثَّقَلَيْنِ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخلُفُونى فيهما الثقَلُ الاكْبَرُ كتَابُ الله تَعالَى سَبَبٌ طَرَفُهُ بيَدِ الله وَطَرَفٌ بِأَيْديكُمْ فَاسْتَمْسكُوا فَلاَ تضلُّوا ولاَ تُبدلُّوا. وَالثقل الأصغر عترتى أهل بيتى فإنِي قَدْ نَبَّأنى اللَّطيف الخَبير أنهما لن يتفرقا حتّى يردا علىَّ الحَوْضَ. روى عن رسول الله ﷺ انه دعاهم ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فذريتهم منهم فهم صفوة وليسوا بأهل عصمة إنما العصمة للنبيين عليهم السلام والمحنة لمن دونهم وإنما يمتحن من كانت الأمور محجوبة عنه. فأما من صارت الأمور له معاينة ومشاهدة فقد ارتفع عن المحنة، وقوله ﷺ ما إن أخذتم به لن تضلوا واقع على الأئمة منهم السادة لا على غيرهم وليس المسيء المخلط قدوة وكائن فيهم المخلطون والمسيئون لأنهم لم يعروا من شهوات الآدميين ولا عصموا عصمة النبيين، وكذلك كتاب الله تعالى من قبل مأمنه ومنسوخ، فكما ارتفع الحكم بالمنسوخ منه كذلك ارتفعت القدوة بالمخذولين منهم، وإنما يلزمنا الاقتداء بالفقهاء العلماء منهم بالفقه والعلم الذى ضمن الله تعالى بين أحشائهم لا بالأصل والعنصر، فإذا كان هذا العلم والفقه موجوداً فى غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء. وقد قال تعالى فى تنزيله الكريم: ﴿... أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ... ﴿٥٩﴾﴾ [النساء] فإنما يلى الأمر منا من فهم عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ ما يهم الحاجة إليه من العلم فى أمر شريعته، وإنما أشار رسول الله ﷺ فى ما نرى إليهم لأن العنصر إذا طاب كان معينًا لهم على فهم ما يحتاج إليه، وطيب العنصر

يؤدى إلى محاسن الأخلاق ومحاسن الأخلاق تؤدى إلى صفاء القلب ونزاهته وإذا نزه القلب وصفا كان النور أعظم وأشرق الصدر بنوره فكان ذلك عونًا له على درك ما به الحاجة من شريعته، انتهت عبارته بحروفها.

قلت قوله واقع على الأئمة منهم السادة غير مسلّم وإنما هو واقع على عامة أهل البيت وخاصتهم مسيئهم ومحسنهم إمامهم ومأمومهم إذ ليس معنى قوله ﷺ لن يتفرقا حتى يردا علّى الحوض ملازمتهم لكتاب الله تعالى من حيث العمل بجميع أحكامه حتى يرد قوله وكائن فيهم المخلطون والمسيئون إلخ بل هو تحريض على إكرامهم وتبشير لهم بأنهم لا يفارقون دين الإسلام حتى يدخلوا الجنة بسلام ويكفى هذا فى معنى عدم تفرقهم من كتاب الله إلى ورود الحوض، ويدل لملازمتهم دين الإسلام من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقد علمت مما تقدم أن الرجس شامل لجميع الذنوب والنقائص التى أقبحها الكفر فهم قوم مطهرون من قبل الله تعالى فلا يتطرأ إليهم فى دينهم خلل ولا يقع فى عقائدهم زيغ ولا زلل، فإن قلت دليلك هذا غير مقبول عند الحكيم فإن رأيه تخصيص الآية بأزواجه ﷺ كما تقدم. قلت نعم وهو وإن رأى ذلك إلا أنه هنا وفيما تقدم أثبت أن النبى ﷺ دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين وتلا هذه الآية وزاد هنا قوله فذريتهم منهم فهم صفوة، وقال هناك: هذه دعوة منه ﷺ بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم فيها فهو لا بد وأن يعتقدوا أن دعوة النبى ﷺ استجيبت فيهم، وإذا كان كذلك فهم على كل حال داخلون فى حكم الآية أولا وبالذات كما هو رأى الجمهور أو آخرا.

وبالعرض على رأيه فقد ثبت عدم تفرقهم من كتاب الله بعدم انحرافهم عن دين الإسلام إلى ورود الحوض، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ [الضحى]. نقل القرطبى عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية أنه قال: رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وأدلة ذلك من السنة كثيرة قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فَاطمةَ قَدْ أَحْصَنَتْ فرْجَهَا فحرَّمَها الله وذُريَّتَها عَلى النَّارِ» قال الحاكم حديث صحيح.

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سألتُ ربّى ألاَّ يدْخِلَ النار أحداً من أهل بيتى فأعطانيها»، وسيأتى فى المقصد الثانى زيادة تفصيل فى هذا المعنى. وأذكر هنا دليلًا لطيفًا ظهر لى من قوله ﷺ: «كل سبب ونسبٍ ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى» فإنه يتضمن عصمة أهل بيت النبوة من الكفر؛ إذ لو جار عليهم لما ساغ له ﷺ هذا الاستثناء، فإن الكفر أكبر قاطع للسبب والنسب يوم القيامة به عليه الصلاة والسلام، حجة على عدم مفارقتهم الدين بيقين.

وأما قوله ﷺ: «قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى» فالأخذ بكل منهما بما يناسبه، فالأخذ بكتاب الله والتمسك به والعمل بأحكامه، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والأخذ بالعترة أهل البيت التمسك بما يقتضيه حقهم من المحبة والعناية والتبجيل والإعظام والإعزاز والإكرام فهو شامل لهم جميعًا محسنهم ومسيئهم، وحينئذ يسقط ما أورده الحكيم بناء على فهمه فى الحديث وبنى على ذلك تخصيصه بالأئمة منهم، ويشهد لذلك الروايات الأخر كرواية زيد بن أرقم السابقة: «وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى» فأنت تراه ﷺ خص الأخذ والاستمساك من حيث الهداية بكتاب الله، وذكر حكمة ذلك بقوله: «فيه الهدى والنور» ثم بعد أن تم معنى الأخذ والاستمساك ذكر أهل بيته ﷺ وقال: «أذكركم

الله فى أهل بيتى» وكرره تأكيدا للوصاية بهم والعناية بشأنهم، ولم يخص منهم أحدا دون أحد.

وانظر إلى قول زيد لما سأله الحصين عن أهل البيت: من هم أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده؟ تجده نصا فى المقصود.

وكرواية زيد فيما قلناه رواية حذيفة بن أسيد التى ذكرها الحكيم فإنه ﷺ قال فيها: وإنى سائلكم حين تردون علّى عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونى فيهما؛ الثقل الأكبر كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى فإنى قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض. فقوله ﷺ: «فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا» بعد قوله: «الثقل الأكبر كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم» يوضح له أن الاستمساك للهداية وعدم الضلال إنما هو خاص بالثقل الأكبر كتاب الله. وبينَ سبب ذلك قال ﷺ: «والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى» ولو كان المراد الاستمساك بهما معًا للهداية كما فهمه الحكيم فأدخل قومًا من العترة الطاهرة وأخرج آخرين لوجب تأخير فاستمسكوا فلا تضلوا على قوله والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى أو تكريره هناك أيضًا، فظهر أن عترته اهل بيته ﷺ فى هذه الأحاديث كل من حرم عليه الصدقة أى الزكاة، كما قاله زيد بن أرقم رضى الله عنه، وقرنهم ﷺ بكتاب الله تعظيما لشأنهم وتأكيدا لطلب العناية بهم رضى الله عنهم أجمعين.

وأغرب ما فى عبارة الحكيم قوله: فإذا كان هذا العلم والفقه موجودا فى غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء فقد جره الكلام إلى أن ساوى عترته ﷺ بغيرهم إذ لم يجعل مزية لعنصرهم وإنما يجعل المزية للعلم والفقه الذى يوجد فيهم وفى غيرهم، فصار معنى العترة أهل البيت فى هذه الأحاديث علماء

الأمة وفقهاؤها، وهل كان بهذا مراده ﷺ؟ لا والله ما أراد إلا عترته الأقرباء جهالا وعلماء أتقياء وغير أتقياء.

أما فقهاء الإسلام والعلماء الأعلام فهم قدوة الأمة ومصابيح الظلمة، ولكن هذا غير ذاك، وهم نفسهم من الداخلين تحت الخطاب فى هذه الأحاديث لرعاية عترته ﷺ وتعظيم شأنهم بوجه العموم بل هم أحق بذلك من جميع الناس.

**تنبيه:**

خطب ﷺ خطبته هذه التى أوصى فيها بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته فى الملأ العظيم على رؤوس الأشهاد عند ما صدر من حجة الوداع وكان قد خرج معه من المدينة لأدائها أكثر من مائة ألف غير من صحبوه من مكة ومن حضروا من اليمن. وهؤلاء هم معظم الأمة المحمدية إذ ذاك وفيهم أجلاء الصحابة وعلماؤهم وفقهاؤهم أبو بكر الصديق فمن دونه، ولا يشك أن كثيرا منهم أعلم وأفقه من كثير من العترة من أهل البيت، فهل أحد من ذلك الجمع فهم أن النبى ﷺ أوصى أقرباءه وغيرهم فى هذه الخطبة بتعظيم شأن العلماء وأن عترته أهل بيته هو أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وأبيّ ومعاذ وعبد الله بن سلام وأمثالهم من علماء المهاجرين والأنصار وغيرهم؟ أم فهموا أنه ﷺ أوصى هؤلاء وغيرهم من العلماء وسائر الصحابة وجميع الأمة برعاية أقربائه والعناية بشأنهم، وأن عترته أهل بيته هم هم لا غيرهم، إذ لا معنى للعترة وأهل البيت غير ذلك وهل يقول بالأول أحد؟

بقى شىء فى دعوى الحكيم أن المراد من العترة الأئمة منهم لأنهم هم الذين يلزمنا الاقتداء بعلمهم وفقههم، كما لو وجد العلم والفقه عند غيرهم لزمنا الاقتداء به كالاقتداء بهم، فالمعول عليه على رأيه هو العلم لا العنصر، وقد انقطع الاجتهاد منذ قرون لفقد شروطه.

وأهل السنة جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها مقتدون بهؤلاء الأئمة الأربعة رضى الله عنهم فى الأحكام الفقهية وبالإمامين الأشعرى والماتريدى فى العقائد. وأهل البيت وإن كان قد ظهر منهم فى الأعصر الأول كثير من الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب إلا أن مذاهبهم لم تدون ولم تشتهر فانقرضت بانقراض أهلها، وما ينسبه إليهم بعض الفرق الضالة مما يخالف مذاهب أهل السنة باطل مكذوب عليهم. وعلى هذا لم يبق لهم نصيب فى هذه الأحاديث التى هم أصل موردها فقد خرجوا منها جملة واحدة وهو أمر ظاهر البطلان. فإن قلت: لم يرد الحكيم المجتهدين منهم وإنما أراد العلماء منهم وهم كثيرون فى كل عصر، قلت الأوصاف التى ذكرها من كونهم أئمة قدوة لغيرهم بالفقه والعلم لا تصدق إلا على المجتهدين؛ إذ هم الذين يجوز الاقتداء بهم فى ذلك، والعلماء الذين وجدوا منهم فى الأعصر الأخيرة هم مقلدون لأحد المذاهب الأربعة، فلا يكونون قدوة لغيرهم.

وقوله: وإنما أشار إليهم رسول الله ﷺ فيما نرى، أى فى الظاهر لأن العنصر إذا طاب كان معينا لهم على فهم ما يحتاج إليه . . .إلخ كلام نفيس غير أنه لا ينهض حجة لذكر رسول الله إياهم مريدا منهم علماء الأمة، فقد كان يمكنه ﷺ التصريح بأن يقول مثلا: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلماء أمتى ليفهمه السامع لا سيما فى ذلك المجمع العظيم المشتمل على الفهيم وغير الفهيم.

## استطراد:

إذا تصفحنا أخبار علماء الأمة فى بعض القرون السالفة نجد من كان منهم من الموالى والأعاجم أكثر عددا ممن كانوا من قريش والعرب، والحكمة فى ذلك والله أعلم أن أولئك لما رأوا هؤلاء متقدمين عليهم فى شرف الحسب والنسب أرادوا أن يلحقوهم فلم يجدوا وسيلة للحاق بهم غير العلم فجدوا فيه واجتهدوا

حتى أدركوا منه بغيتهم ووصلوا إلى غايتهم، ويزاد على ذلك أن العرب كانوا يشتغلون بالعلم حتى إذا بلغوا منه مبلغا ولوا الأعمال وتنافسوا فيها فلا يتمكنون من ملازمة القراءة والإقراء، وهذا أمر أغلبى وقع فى بعض الأعصر، وإلا فأنت على علم من أن الأربعة الأئمة الذين هم قدوة الأمة المحمدية عربيها وعجميها منذ زمنهم إلى الآن وإلى يوم القيامة ثلاثة منهم من العرب مالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم، وواحد من غيرهم وهو أبو حنيفة رضى الله عنه، وكيفما كان الأمر فهى أمة مرحومة معبودها واحد ونبيها واحد، فمهما كان من خير فى عربها أو عجمها فهو واصل إلى الآخرين وأى بأس باختلاف الجنس إذا اتحد الدين.

فائدة قوله ﷺ: «لو كان العلم بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس» حمله بعضهم على الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه. قال المناوى فيه فضيلة لهم وتنبيه على علو هممهم، قال فى معجم البلدان: العرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا فارس وإنما عنى فى الحديث أهل خراسان لأنك إذا طلبت مصداقه فى فارس لم تجده لا أولا ولا آخرا أو تجد هذه الصفة نفسها فى أهل خراسان دخلوا فى الإسلام رغبة ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والمتعبدون، وإذا حررت المحدثين من كل بلد وجدت نصفهم من خراسان وجل رواة الرجال منها. وأما أهل فارس فكفار خمدوا ولم يبق لهم بقية بذكر ولا شرف اهـ.

وأما قوله ﷺ: «لو كان الإيمان عند الثريا» وفى رواية: «معلقا بالثريا لتناوله رجال من فارس» فهو محمول على سلمان الفارسى رضى الله عنه كما ذكره سيدى الشيخ الأكبر فى الفتوحات وكثير من العلماء

# فصل

## فى قوله صلى الله عليه وسلم أهل بيتى أمان لأمتى

قال الحكيم الترمذى رضى الله عنه فى شرح هذا الحديث: أهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه وهم الصديقون والأبدال الذين روى فيهم على كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا، بهم يسقى الغيث وينصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء» فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ وأمان هذه الأمة فإذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا ولا يجوز أن يحمل على أهل بيت النسب لمعان.

أحدها أنه روى فى الحديث فإذا ذهب أهل بيتى أتى أمتى ما يوعدون، فكيف يتصور أن يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وهم أكثر من أن يحصى، وبركة الله تعالى عليهم دائمة ورحمته مظلة من فوقهم. وقد قال ﷺ: «كل سبب ونسب ينقطع إلا سببى ونسبى».

والثانى أن أهل بيته نسبة بنو هاشم وبنو عبد المطلب ولم يكونوا أمانا لهذه الأمة حتى إذ ذهبوا ذهبت الدنيا.

والثالث أنه قد يوجد منهم الفساد كما يوجد فى غيرهم ومنهم المحسن ومنهم المسىء فبأى شىء صاروا أمانا لأهل الأرض فعلم أن المراد به من به تقوم الدنيا وهم أعلامه وأدلة الهدى فى كل وقت، فإذا تفانوا لم يبق للأرض حرمة فعمهم البلاء.

فإن قال قائل بحرمة رسول الله ﷺ وقربهم منه. صاروا أمانا لأهل الأرض.

قيل: حرمة رسول الله ﷺ عظيمة جليلة وفى الأرض ما هو أعظم من حرمة ذريته وهو كتاب الله فلا نجد ذكره فى الحديث، ثم الحرمة لأهل التقوى لأنه إنما عظمت حرمة رسول الله ﷺ لفضل النبوة ومـا أكرمه الله تعالى به، والدليل على ذلك ما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وعندها صفية عمة رسـول الله ﷺ فقال: «يا بنى عـبد مناف يا بنى عبد المطلب يا فـاطمة بنت محـمد يا صفـية عمة رسـول الله اشتروا أنفـسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئًا، سلونى من مالى ما شئتم واعلموا أن أولى الناس بى يوم القيامة المتقون وأن تكونوا أنتم مع قرابتكم فذلك، لا يأتينى الناس بالأعمـال وتأتونى بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقـولون يا محمد فأقـول هكذا ثم تقولون يا محمـد فأقول هكذا، أعرض بوجهى عنكم فتقولون يا محمد أنا فلان بن فلان فأقول: ما النسب فأعرف وأما العمل فـلا أعرف نبذتم الكتاب فارجعـوا إلى قرابة بينى وبينكم». وروى أنه قال: «جـهاراً غيـر سر ألا إن أوليائى منكم ليـسوا بأبى فلان لكـن أوليائى منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا» ا هـ.

أقول روى جمـاعة من أصحاب السنن عن عدة من الـصحابة أن النبى ﷺ قال: مثل أهل بيتى فيكم كسفـينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» وفى رواية: «غرق»، وفى أخـرى: «زُجّ فى النار». وعن أبى ذر سمـعتـه ﷺ يقول: «اجـعلوا أهل بيتى منـكم مكان الرأس من الجسـد ومكان العـينين من الرأس ولا تهتدى الرأس إلا بالعينين». وروى الحاكم وصححه على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حرب إبليس».

وأخرج جماعة من أصحاب السنن أنه ﷺ قال: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى»، وفى رواية: «أهل بيتى أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل

بيتى جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»، ورواية أحمد: «إذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض» ومعناه على كل حال أن وجودهم رضى الله عنهم فى الأرض أمان لأهلها عموما ولأمته ﷺ خصوصا من العذاب وليس القصد منه صلحاءهم خاصة فإن هذه المزية الشريفة للعنصر النبوى بقطع النظر عما يعرض على أهله من الأوصاف محمودة وغير محمودة.

وقال العلامة الصبان فى «إسعاف الراغبين»: وقد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ... (٣٣)﴾ [الأنفال]، أقيم أهل بيته مقامه فى الأمان لأنهم منهم وهو منهم. كما ورد فى بعض الطرق ا هـ .

فأنت تراه صريحا فى أن المراد العنصر الطاهر مجردا عن الأوصاف. وأصرح منه فى ذلك قوله ﷺ: «أول الناس هلاكا قريش، وأول قريش هلاكا أهل بيتى». وفى رواية بدل هلاكا فناء، وبدل أهل بيتى بنو هاشم. قال شراح الحديث منهم المناوى وغيره فهلاكهم من أشراط الساعة وأماراتها الدالة على قرب قيامها، إذ لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، يعنى وهم خيارهم. فهذا الحديث كالتفسير لذلك، وخير ما فسرته بالوارد، وبهذا يظهر بطلان ما ادعاه الحكيم الترمذى من أن أهل بيته ﷺ فى هذا الحديث هم الأبدال والصديقون.

والجواب عن الشبهة الأولى وهى قوله فكيف يتصور أن يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وهم أكثر من أن يحصى وبركة الله عليهم دائمة ورحمته مظلة من فوقهم، إنه لا مانع من تصور ذلك وأى حرج فيه لا سيما وقد صرح به الحديث الآخر الذى تقدم، وهو قوله ﷺ: «أول الناس هلاكا قريش وأول قريش هلاكا أهل بيتى» وذلك من جملة رحمة الله لهم لما تقرر من أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وهم خيارهم ولذلك كانوا أول الناس هلاكا، ووليتهم قريش

لأنها تليهم فى الفضل والمنزلة والقرب من رسول الله ﷺ فما ذاك إلاّ من رحمة الله لهم وإكرامه إياهم.

وأما قوله وقد قال ﷺ: «كل سبب ونسب ينقطع إلا سببى ونسبى» فليس معناه أن الانقطاع انقراض الذرية ولكنه مخصوص بيوم القيامة كما هو صريح الروايات الصحيحة، ومعنى الانقطاع عدم الانتفاع بالأنساب إذ ذاك كما قال تعالى: ﴿ ... فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ... ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون] واستثنى ﷺ سببه، ويكون بالتزويج، ونسبه ويكون بالولادة؛ لأن النفع بهما متصل لا ينقطع فى الدنيا والآخرة. ويؤيده ما صح عنه ﷺ من قوله على المنبر: «ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع يوم القيامة، بلى إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة».

والجواب عن الشبهة الثانية وهى قوله: «إن أهل بيته نسبة بنو هاشم وبنو عبد المطلب ولم يكونوا أمانا لهذه الأمة حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا» أن معنى كونهم أمانا لهذه الأمة بل لأهل الأرض أن وجودهم فيها علامة على أن الدنيا لم يحن وقت ذهابها، فإذا هلكوا جاء أهل الأرض من الآيات الدالة على قيام الساعة وذهاب الدنيا ما يوعدون، فهم ما داموا فيها فى أمان من ذلك.

والجواب عن الشبهة الثالثة وهى قوله: «إنه قد يوجد منهم الفساد كما يوجد فى غيرهم ومنهم المحسن ومنهم المسىء فبأى شىء صاروا أمانا لأهل الأرض» أنهم صاروا أمانا لأهل الأرض لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه ولكن بعنصرهم النبوى الطاهر الذى خصهم الله به فى الأزل وميّزهم لأجله بمزايا لم توجد ولن توجد فى غيرهم ومنها هذه المزية الجليلة التى هى من رحمة الله الخاصة بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحى التى لا تدخل تحت قياس ولا يشاركهم فيها أحد من الناس. وهذان الجوابان يعلمان من جواب الشبهة الأولى فافهمه تفهمهما.

وقوله وفى الأرض ما هو أعظم حرمة من ذريته ﷺ وهو كتاب الله فلا نجد ذكره فى الحديث اعتراض غير وارد فإنه لا يلزم من ذكره ﷺ حرمة ذريته فى حديث أن يذكر معهم حرمة كتاب الله وإن كانت أعظم من حرمتهم وقد قرنهم به فى حديث الثقلين، وهو غير لازم فى كل حديث، ولم يدّع أحد أنهم أعظم حرمة من كتاب الله أو مساوون له حتى يعترض بهذا، وهم لم يفضلوه بهذه المزية فإنه أيضا يرفع قبل قيام الساعة وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول اقرءوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع، قيل يا أبا عبد الرحمن كيف يرفع وقد أثبتناه فى صدورنا ومصاحفنا؟ قال يسرى عليه ليل فلا يذكر ولا يقرأ. ومعلوم أن ابن مسعود لا يقول هذا برأيه إذ لا مدخل للرأى فيه فهذا كتاب الله أمان لأهل الأرض ما دام فيهم من العذاب وذهاب الدنيا. ولم توصف الذرية الطاهرة بأكثر من ذلك. بقى قوله: ثم الحرمة لأهل التقوى، وقوله: والدليل على ذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وعندها صفية عمة رسول الله ﷺ فقال: «يا بنى عبد مناف يا بنى عبد المطلب . . .إلخ» وقد أجاب عن هذا المحب الطبرى بجواب شاف نقله عنه المناوى فى الكبير والصبان فى الإسعاف وهو أنه ﷺ لا يملك لأحد شيئا لا نفعا ولا ضرا لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملّكه له مولاه، كما أشار إليه فى رواية البخارى بقوله: «لكن لكم رحم سأبلُّها ببِلالها» أى سأصلها بصلتها. وكذا معنى قوله: «لا أغنى عنكم من الله شيئا» أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله من نحو شفاعة أو مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والتحريض على أن يكونوا أولى الناس حظا فى تقوى الله وخشيته.

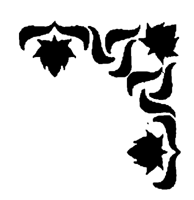
قال الصبان: وقيل هذا قبل علمه بنفع الانتساب إليه على أن اللغة العربية لا تساعد الحكيم على ما فسر به الحديث، وهل أحد يفهم معنى الأبدال من لفظ أهل

بيتى؟ كلا والله لا يفهم أحد من المخاطبين بهذا سوى أهل بيت نسبه ﷺ كما هو وضع اللغة العربية التى هى لغته ﷺ وفضل الأبدال - رضى الله عنهم ونفعنا بهم - وعلو منزلتهم وقربهم من الله ورسوله مما لا يشك فيه مؤمن ولكنهم أنفسهم لا يرضون بإلباسهم حلة كرامة خلعها الله على عترة حبيبه ﷺ حاشاهم ثم حاشاهم.

وإنى على يقين من أن الحكيم الترمذى رضى الله عنه كان من أكابر الأولياء وأكاد أجزم أن ما مرّ عنه محمول على أحد وجهين:

أحدهما وهو الأقرب أن جميع ذلك مدسوس فى كتابه من أحد مبغضيه أو مبغضى أهل البيت، كما وقع ذلك لكثير من العلماء والأولياء منهم الشيخ الأكبر سيدى محى الدين بن العربى والعارف المحقق سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وغيرهما.

والثانى أنه كان مجاورا لقوم من غلاة الشيعة الذين أفرطوا بالتزامهم جانب أهل البيت رضى الله عنهم وضلوا برفضهم موالاة كثير من أجلاء الصحابة ولا سيما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فرد عليهما وشنع كما يتضح من عباراته وحمله ذلك على ما ذكره فى شأن أهل البيت، ومع هذا فقد وصفهم فى غضون كلامه بأوصاف جميلة واعترف لهم بمزايا جليلة كما هو شأنه وشأن أمثاله رضى الله عنه وأرجو أن يثيبنى الله على ما أقدمت عليه وأن لا يلحقنى ندم * فيما جرى به القلم * فإن القصد جميل * والله على ما أقول وكيل.

# المقصد الثاني

في الكلام على شرفهم ومزاياهم وما اختصهم الله به دون من عداهم




اعلم أن جميع ما ذكر فى هذا الكتاب أولا وآخرا هو من خصوصياتهم التى لا ينازعهم فيها منازع ولا يدافعهم عنها مدافع ولكن ربما كان بعضها خصوصية نسبية أى بالنسبة لمن لم توجد فيهم كالقطع لهم بالجنة وتحريمهم على النار، فإن هذا المعنى موجود فى المبشرين بالجنة من الصحابة رضوان الله عليهم كالعشرة وغيرهم، وكلعن مبغضهم ووصفه بالنفاق والكفر فى بعض الأحاديث، وكذا الصحابة ورد فى حقهم مثل ذلك وإنى ذاكر فى هذا المقصد بعض الخصائص التى لا توجد فى غيرهم ألبتة.

فمن خصائصهم رضى الله عنهم تحريم الزكاة عليهم. قال الإمام النووى فى شرح مسلم: تحرم الزكاة على النبى ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، هذا مذهب الشافعى وموافقيه وبه قال بعض المالكية وقال أبو حنيفة ومالك: هم بنو هاشم خاصة. قال القاضى عياض وقال بعض العلماء هم قريش كلها وقال أصبغ المالكى هم بنو قصى.

دليل الشافعى أن رسول الله ﷺ قال: «إن بنى هاشم وبنى عبد المطلب شىء واحد» وقسم بينهم سهم ذوى القربى، وأما صدقة التطوع فللشافعى فيها ثلاثة أقوال أصحها أنها تحرم على رسول الله ﷺ وتحل لآله. والثانى تحرم عليه وعليهم. والثالث تحل له ولهم. وأما موالى بنى هاشم وبنى عبد المطلب فهل تحرم عليهم الزكاة فيه وجهان لأصحابنا أصحها تحرم والثانى تحل. وبالتحريم قال أبو حنيفة وسائر الكوفيين وبعض المالكية، وبالإباحة قال مالك. وادعى ابن بطال المالكى أن الخلاف إنما هو فى موالى بنى هاشم، وأما موالى غيرهم فتباح لهم بالإجماع وليس كما قال بل الأصح عند أصحابنا تحريمها على موالى بنى هاشم وبنى عبد المطلب ولا فرق بينهما والله أعلم ا هـ.

وعبارة الصبان فى الإسعاف قصر مالك وأبو حنيفة رضى الله عنهما تحريمها على بنى هاشم، وقال الشافعى وأحمد بتحريمها على بنى هاشم وبنى المطلب، وروى عن أبى حنيفة جوازها لبنى هاشم مطلقا وقال أبو يوسف تحل: من بعضهم لبعض، ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل، وهو رواية عن مالك وروى عنه حِلُّ أخذ الفرض دون التطوع لأن الذل فيه أكثر ا هـ.

وفى كشف الغمة قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ﷺ كثيرا ما يقول عن الصدقة إنما هى أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وكان أنس رضى الله عنه يقول: أخذ الحسن بن علىّ رضى الله عنهما يوما تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه فقال رسول الله ﷺ: «كخ كخ ارم بها أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة» وكان ﷺ يقول لبنى هاشم وبنى عبد المطلب: «إن لكم فى خمس الخمس ما يكفيكم أو يغنيكم». وعن أنس كان رسول الله ﷺ يقسم سهم ذوى القربى على بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى نوفل وعبد شمس ويقول: «إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شىء واحد». وقال ابن عباس رضى الله عنهما جاء أبو رافع مولى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن فلانا عاملك على الصدقة دعانى لأكون مساعدا له ويعطينى منها، فقال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لنا وإن مولى القوم منهم» ا هـ.

وقال المناوى قوله: «إنما هى أوساخ الناس، أى أدناسهم وأقذارهم لأنها تطهر أدرانهم وتزكى أموالهم ونفوسهم» ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة]، كغسالة الأوساخ فهى محرمة عليهم بعمل أو غيره حتى من بعضهم لبعض ومن زعم استثناء فقد أبعد. وقد سأل بعض الآل عمر أو غيره جملا من الصدقة فقال: أتحب أن رجلا بادنا فى يوم حر غسل ما تحت كذا فشربته؛ فغضب وقال أتقول لى هذا؟ قال: إنما هى أوساخ الناس يغسلونها ا هـ.

وفى البحر المورود لسيدى الولى الكبير الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه لما سأل الفضل بن عباس النبى ﷺ أن يستعمله على الصدقات قال له ﷺ: «معاذ الله أن أستعملك على غسالة ذنوب الناس» وقد قال بعض أئمة اللغة إن الوسخ يشمل الغائط فما دونه، ولكنه ﷺ كان يكنى عن القبيح ما أمكن.

ثم أعلم يا أخى أن الوسخ يزيد فى القبح وينقص بحسب كسب المتصدق فإن كان يرابى ويغش فى المعاملة ويأخذ المكس من التجار ويأكل الرشوة فحكمه كالخراج والقيح وإن كان ينصح فى المعاملة ولكنه يبيع على من فعل ذلك من الظلمة والقضاة فحكمه كالبول والدم، وقس على ذلك، وأقل المراتب أن يكون كالبصاق اهـ.

قال الطيبى لا يقال كيف أباحها بعض أمته ومن كمال إيمان المرء أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه لأنا نقول ما أباحها لهم عزيمة بل اضطرارا، وكم أحاديث نراها ناهية عن السؤال، فعلى الحازم أن يراها كالميتة، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه.

وقوله: ومنها أن حكيم بن حزام رضى الله عنه سأل النبى ﷺ من غنائم حنين فأعطاه مائة من الإبل ثم سأله فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له: «يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى» فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها، وقال: يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا، وكان كذلك رضى الله عنه فكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يعرضان عليه العطاء فيأبى.

قال العارف الشعرانى: وقد رأيت مرة شخصا جاء إلى سيدى علىّ الخواص بمال والشيخ رمد وهو جالس يضفر الخوص فقال له سيدى خذ هذه الدراهم

فاستعن بها على نفقة البيت واترك الضفر حتى تبرأ فرده وقال: والله إنى كما تراني أضفر فى هذا الرمد ولا يطيب لى أن آكل من كسبى هذا فكيف آكل من كسبك أنت. فقال: يا سيدى إن مثلك لا يغش فى صنعته فكيف لا تطيب نفسك أن تأكل من صنعتك؟ فقال صحيح ما، ثم إن شاء الله تعالى غش ولكن أبيع على من؟ وجميع الفقهاء والتجار والزياتين وغيرهم إذا أتاه مكاس أو قاض يشترى منه شيئا لا يرده قط بل يفرح بفلوسه غاية الفرح وإذا أخذنا فلوس الظلمة والمكاسين فنحن سواء لاتحاد العين المتداولة بايديهم فقال يا سيدى هذا شىء ما كان لى بال وتركه وانصرف وهو يقول الله يا أولياء الله ا هـ.

وهذا التدقيق من الشيخ رضى الله عنه لا يقتضى منع غيره من قبول الصدقة فإنها مباحة حتى لأهل البيت إن كانت نفلا كما تقدم ما لم يتحقق أنها من مال حرام، وهى مع إباحتها أمر مرغوب عنه إلا للضرورة، وانظر إلى قوله ﷺ: «واليد العليا خير من اليد السفلى» تعرف ذلك، فإن قلت قد ثبت تحريم صدقة الفرض على آله ﷺ وصدقة النفل وإن كانت مباحة لهم على الصحيح إلا أن نفوسهم الشريفة ربما تأباها إلا ممن يرى لقوة إيمانه ونفاذ بصيرته أن لهم الفضل والمنة عليه بقبول صدقته وقليل ما هم، فمن أين يتعيش من لا مال له منهم.

قلت: أما سمعت قوله ﷺ مخاطبا لهم: «إن لكم فى خمس الخمس ما يكفيكم»، وفى بذل خمس الخمس الذى هو حقهم فى بيت مال المسلمين أدامه الله عامرا ما فيه كفايتهم، وليس القصد إلا ذلك لا أن يكثر مالهم فإن بينهم وبين ذلك سدا حاجزا من قوله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» وما أشبهه من الأحاديث الواردة فى هذا المعنى.

قال الشعرانى رضي الله عنه نعمة التقلل من الدنيا أكبر من نعمة الإكثار منها لأنها طريق الأنبياء والأصفياء ولولا أن التقلل أفضل وأكثر أجرا ما قال ﷺ:

«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» والقوت هو الذى لا يفضل منه شىء عن الغداء والعشاء؛ فشىء اختاره ﷺ لنفسه وأهل بيته لا أكمل منه ا هـ.

وقد دعا ﷺ لمبغضه وأهل بيته بعكس ذلك فعن علىّ رضى الله عنه: «اللهم ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال» رواه الديلمى، قال ابن حجر: كفاهم أن يكثر مالهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم، ولا يشكل هذا بالدعاء لأنس بمثل ذلك؛ لأن ذلك نعمة فى حقه يتوصل بها إلى كثير من الأمور المطلوبة بخلافه فى حق مبغضهم.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم كونهم أشرف الناس نسبا وأفضل الخلق حسبا. عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهما قسما» فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الواقعة]، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ [الواقعة]، وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرهم ثلثا فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة]، فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا، فذلك قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال: ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم». وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال ﷺ: «إن الله خلق

الخلق فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم العرب، ثم اختار من العرب مضر، ثم اختار من مضر قريشا، ثم اختار من قريش بنى هاشم ثم اختارنى من بنى هاشم، فلم أزل خيارا من خيار». وأخرج أحمد والمحاملى وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: قال لى جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم». قال الحافظ ابن حجر أنوار الصحة تلوح على صفحات متن هذا الحديث.

وعن جعفر الصادق رضى الله عنه عن أبيه محمد الباقر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله بعثنى فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حيا خيرا من العرب ثم أمرنى فطفت فى العرب فلم أجد حيا خيرا من مضر ثم أمرنى فطفت فى مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرنى فطفت فى كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش، ثم أمرنى فطفت فى قريش فلم أجد حيا خيرا من بنى هاشم ثم أمرنى أن أختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفسا خيرا من نفسك». وأخرج الإمام أحمد بسند جيد عن العباس رضى الله عنه أنه ﷺ صعد المنبر فقال: «من أنا»، قالوا: أنت رسول الله فقال ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير فرقة وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا». وقال ﷺ: «أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل» أخرجه الطبرانى والدارقطنى مرفوعا. فهذه أحاديث صحيحة ونصوص صريحة تدل على أن أهل البيت أفضل الناس حسبا ونسبا ويتفرع على هذا أنهم لا يكافئهم

فى النكاح أحد من الناس وبه صرح غـير واحد من الأئمة. قال الجـلال السيوطى فى الخصائص: ومن خصائصه ﷺ أن آله لا يكافئهم فى النكاح أحد من الخلق.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم أن كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه ﷺ كـما ورد ذلك فى الحديث الصـحيح وتقدم فى المقـصد الأول، وصح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب لنفســه أم كلثوم بنت فاطمة رضى الله عنهما من أبيها علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فاعتل بصغرها وبأنه حابسها لولد أخيه جعفـر فألح عليه عمر ثم صعد المنبر فقـال: أيها الناس والله ما حملنى على الإلحـاح على علىّ فى ابنتـه إلا أنى سـمعت النبـى ﷺ يقول: «كل سـبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيـامة إلا سببى ونسبى وصهرى» فـأمر بها علىّ فزينت وبعث بها إليه فلما رآها قـام وأجلسها فى حجره فقبلها ودعا لـها فلما قامت أخذ بسـاقها وقال لها قولى لأبيك قد رضيـت، فلما جاءت قال لها ما قال لك فذكرت به جميع ما فعله وما قاله فانكحها أياه فولدت له زيدا مات رجلا.

قال الطيبى والنسـب ما يرجع إلى ولادة قريبة من جهة الآباء والصهر ما كان من خلطة تشبه القرابة يحدثها التـزوج والسبب كذلك يكون بالتزويج. وعلم بهذا الحديث ونحوه عظيم نفع الأنساب إليه ﷺ ولا يعارضه ما فى أخبار أخر من حثه ﷺ لأهل بيته على خشية الله وإتقائه وطاعته وأنه لا يغنى عنهم من الله شيئًا لأنه لا يملك لأحد نفـعا ولا ضرا لـكن الله يملكه نفع أقاربه، فقـوله لا أغنى عنكم شيئا أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى الله به من نحو شفاعة أو مغفرة فخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف. واعلم أنه لا ينبغى لمنسوب إليه ﷺ أن يعتمد على ما ذكر لأنه إنما ثبت لمن هو فـى الواقع متصل به عليـه الصلاة والسلام ومن آل بيـته ومن أين تحقـق ذلك لقيام احـتمـال زلل بعض النساء وكذب بـعض الأصول فى الانتساب وإن كان خلاف الظاهر على أن المأثور عن أكابر آل البـيت شدة خشيتهم

من الله تعالى وعظم خوفهم من عذابه وكثـرة تأسفهم على أدنى تقصير وقع منهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

ومن خصـائصهم رضى الله عنهم الاصطلاح فى الصدر الأول على إطلاق اسم الأشراف عليهم دون غـيرهم ثم خص منهم بالحسنين والحسينيـين فقط. قال السيوطى فى رسالته الزينبية اسم الشريف يطلق فى الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنيا أم حسـينيا أم علويا من ذرية محمد ابن الحنفية أو غيـره من أولاد علىّ بن أبى طالب أو جعـفريا أو عقـيليا أو عبـاسيـا، فلما ولى الخلافـة الفاطميـون بمصر قـصروا اسم الشريف على ذرية الحسـن والحسـين فقط واستمر ذلك بمصر إلى الآن ا هـ.

قلت وهذا الاصطلاح عم الآن البلاد الإسلامية شرقا وغربا فمتى أطلق لفظ الشريف فى اللغـة العربية لا ينصرف إلا لمن كـان حسنيا أو حسيـنيا، وحدث فى كثـير من البلاد الاصطلاح أيضًـا على لفظ السيد على كل منهـما خاصة؛ فـمتى أطلق لا ينصرف لسواهم، وهذا فى غـير الحجاز فإنهم اصطلحـوا فيه على إطلاق الشريف على من كان حسنيا والسيد على من كان حـسينيا للتفرقة بينهما. قال ابن حجر المكى ولا يدخل غير ذرية الحسن والحسين فى الوقف على الأشراف والوصية لهم لأن الوقف والوصيـة منوطان بعرف البلد وعرف مصـر ونحوها اختصـاصهم بذرية الحسـن والحسين ا هـ.

وقد علمت العرف الطارئ فى الحجاز. وأما تخصيص العمامة الخضر فمبهم فأصلـه أن ملك مصر الأشـرف شعـبان بن حـسين أمـر فى سنة ثلاث وسبـعين وسبعمـائة بتقديم الموحدة فيـهما بتخصيـصهم بعلامة خضراء توضع علـى عمامة أحدهم للفرق بين الشريف وغير الشريف ثم توسع فيها حتى جعلت العمامة كلها خضراء ونظم الأدباء فى ذلك أشعارا منها قول جابر بن عبد الله الأندلسى:

جعلوا لأبنــاء النبىّ عــلامة * إن العــلامة شــأن من لم يشهر

نور النبوة فى وسيم وجوهـهم * يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقول شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقى

أطراف تيجان أتت من سندس * خضـــر بأعــلام على الأشراف

والأشرف السلطان خصهمُ بها * شــرفًا ليفــرقهم من الأطـراف

ولعل اختيار هذا اللون كونه أفضل الألوان وكونه لون الحلة التى يكساها فى الموقف نبينا ﷺ أو كونه لون ثياب أهل الجنة ا هـ. إسعاف.

قال الإمام السيوطى: لبس هذه العلامـة بدعة مباحة لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره ولا يؤمـر بها من تركها من شريف وغيـره والمنع منها لأحد من الناس كائنا من كان ليس أمرا شرعيا؛ لأن الناس مضبوطون بأنسـابهم الثابتة وليس لبس العلامـة مما ورد به الشرع فيـتبع إباحة ومنعـا أقصى ما فى البـاب أنه أحدث التمـيز بها لهـؤلاء عن غيرهم وقـد يستأنس فيها بقـوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ... ۝٥٩ ﴾ [الأحزاب] فقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس ليعرفوا فيحلوا تكريما للعلم، وهذا وجه حسن والله أعلم.

قال الـعلامـة الصبـان يؤخذ من الآية التى اسـتأنس بهـا فى لبس العـلامة الخضراء استحباب لبسها للأشراف وهو الذى ينبغى اعتماده وتكره لغيرهم لأن فيها انتسـابا بلسان الحـال إلى غيـر من ينسب إليه الشـخص فى نفس الأمر وانتسـاب الشخص إلى غـير من ينسب إليه فى نـفس الأمر منهى عنه محـذر منه، قال ولم يكتف فى هذه الأعصـار بتلك العلامة بل جعلت العمـامة كلها خضـراء وحكمها حكم تلك العلامة انتهى.

وهذا إنما يظهر فى البلاد التى بقى أهلها على اصطلاح تخصيص العمائم الخضر بالأشراف كمصر، أما فى غيرها كالقسطنطينية فلا، فإن العمامة الخضراء فيها لا دلالة لها على الشرف أصلا لما أن العلماء فيها والطلبة وغيرهم من أرباب العمائم لا يخلو أحدهم فى الغالب من عمامة خضراء يستعملها فى بعض الأحيان وقد يكثر استعمالها فى فصل الشتاء لعدم ظهور الوسخ فيها بل تجاوزهم الأمر إلى كثير من أهل الحرف وباعة الشوارع فإنهم كثيرا ما يتعممون بالعمائم الخضر لهذه العلة، وكذا لفظ السيد عندهم ليس خاصا بالشريف فإنك إذا ذهبت إلى سوق الحكاكين واجتهدت فى أن ترى ختما لم يكتب فيه السيد فلان لا تكاد تراه إلا أن يكون لسيد شريف صحيح النسب أو لرجل من أهل الدين والحياء، وإنما لا يكتب الأشراف لفظ السيد فى أختامهم لخوف الاشتباه فى أنسابهم حينئذ بسبب كثرة استعمال الأغيار إياه. ومن هنا ترى أكثرهم لا سيما أشراف الحجار لا يلبسون العمائم الخضر لهذه الحكمة فقد زال التمييز * واختلط الصفر بالإبريز * والأشراف مضبوطون بأنسابهم * لا بألقابهم * ومعروفون بأحسابهم * لا بأثوابهم * ولقد أفحش فى الخطأ من ظن الشرف بالألوان * أو بقول الناس يا سيد فلان * فرحم الله امرأ عرف حده * فثبت عنده * وعلم مقامه * فلم يتقدم أمامه * فإن الكذب مداه قصير * والزيف لا يخفى على الناقد البصير.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم استعمال النقباء منهم عليهم وهذه النقابة وضعت فى الأصل لصيانتهم عن أن يتولى عليهم من لا يكافئهم فى النسب ولا يساويهم فى الشرف، ويختار لها أجلّهم بيتا وأكثرهم فضلا وأجزلهم رأيا لتجمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته برياسته وتستقيم أمورهم بسياسته ويلزمه لهم بتقلدها اثنا عشر حقا.

أحدها حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس منها أو خارج عنها وهو منها.

والثانى معرفة أنسابهم وتمييز بطونهم ويثبتهم فى ديوانه على التمييز.

والثالث معـرفة من ولد منهـم من ذكر أو أنثى فـيثبـته ومـعرفـة من مات فيذكره.

والرابع أن يحملهم على الآداب التى تضاهى شرف أنسـابهم وكرم محتدهم لتكون حشمتهم فى النفوس موفورة وحرمة رسول الله ﷺ فيهم محفوظة.

والخامس أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم من المطالب الخبيثة حتى لا يستقل ولا يستضام منهم أحد.

والسادس أن يكفـهم عن ارتكاب المآثم ويمنعهم من انتهـاك المحارم ليكونوا على الدين الذى نصروه أغير وللمنكر الذى أزالوه أنكر فلا ينطلق بذمهم لسان ولا يشنؤهم إنسان.

والسابع أن يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم فيدعـوهم ذلك إلى المقت والبغض ويبعثهم على المناكـرة والبعد، وأن يندبهم إلى استعطاف القلوب وتألف النفوس ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب لهم أصفى.

والثامن أن يكون عونا لهم فى استيفاء حقوقهم حتى لا يضعفوا عنها وعونا عليهم فى أخـذ الحقـوق منهم حتى لا يمنعـوا أهلها منها ليـصيروا بـالمعونة لهم متصفين وبالمعونة عليهم منصفين فإن من عدل السيرة فيهم إنصافهم وانتصافهم.

والتاسع أن ينوب عنهم فى حقوقهم فى بيت مال المسلمين.

والعاشر أن يمنع نسـاءهم أن يتزوجن إلا من الأكفـاء لشرفهـن على سائر النسـاء صيانة لأنسابهن وتعظيما لحرمتهن.

والحادى عشر أن يقوّم ذوى الهفوات منهم ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته ويغفر بعد الوعظ زلته.

والثانى عشر أن يراعى وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ويراعى قسمتها عليهم بحسب الشروط والأوصاف.

ويزاد على ذلك فى النقبة العامة خمسة أشياء أخرى:

أحدها الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

والثانى الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

والثالث إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

والرابع تزويج الأيامى اللاتى لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينوا فعضلوهن.

والخامس إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكه إذا أفاق ورشد. انتهى ملخصا من الأحكام السلطانية للإمام الماوردى.

هكذا كانت نقباء الأشراف فى الأزمنة السالفة، أما الآن فهم كما ترى لا يجدون طاعة ولا سمعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم طلب إكرام فاسقهم وتوقيره واعتقاد أن ذنبه مغفور وأن الله متجاوز عن سيئاته ولا بد ولو بتوفيق الله إياه للتوبة النصوح قبل الموت قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقال ﷺ: «يا بنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثا أن يُثَبِّتَ قائمكم وأن يَهْدِيَ ضالَّكم وأن يعلم جاهلكم» وقد تقدم قوله ﷺ «إن فاطمة أحصنت فرجَها فحرمها الله وذريتَها على النار» وغيره من الأحاديث الدالة على القطع لهم بالجنة من غير سابقة عذاب فلا حاجة لإعادتها هنا؛ وإنما طلب إكرام فاسقهم لأن إكرامه ليس لفسقه وإنما هو لعنصره الطاهر ونسبه الزاهر وهذا موجود فى طالحهم كوجوده فى صالحهم، وفسق أحدهم لا يخرجه عن بيت النبوة وهم بشر غير معصومين فلا يطرأ بذلك خلل فى نسبهم وإن كان يشين قدرهم الرفيع ويحط بين الصالحين من رتبهم.

قال المقريزى: حدثنى الشيخ الفاضل يعقوب بن يوسف القرشى المكناسى قال: أخبرنى أبو عبد الله محمد الفاسى قال: كنت أبغض بنى حسين أشراف المدينة النبوية لما كان يظهر لى من تعصبهم على أهل السنة فنمت مرة بالنهار بالمسجد النبوى تجاه القبر المقدس فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لى يا فلان باسمى مالى أراك تبغض أولادى؛ فقلت: حاشا لله ما أكرههم وإنما كرهت منهم ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة؛ فقال لى مسألة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب فقلت بلى يا رسول الله فقال هذا ولد عاق فانتبهت، وقد زال بغضى لهم ثم صرت لا ألقى منهم أحدا إلا بالغت فى إكرامه اهـ.

فانظر أيها الشريف إلى تسمية النبى ﷺ المتعصب على أهل السنة ولدا عاقا وتذكر أن عقوق مطلق الوالدين من الكبائر فما بالك بعقوق جدك المصطفى ﷺ.

قال العلامة ابن حجر فى خاتمة الفتاوى: من علت نسبته إلى آل البيت النبوى والسر العلوى لا يخرجه عن ذلك عظيم جنايته لا عدم ديانته وصيانته، ومن ثم قال بعض المحققين: ما مثال الشريف الزانى أو الشارب أو السارق مثلا إذا أقمنا عليه الحد إلا كأمير أو سلطان تلطخت رجلاه بقذر فغسله عنها بعض خدمته، ولقد برّ فى هذا المثال وحقق، وليتأمل قول الناس فى أمثالهم الولد المعاق لا يحرم الميراث، نعم الكفران فرض وقوعه لأحد من أهل البيت والعياذ بالله هو الذى يقطع النسبة بين من وقع منه وبين مشرفه ﷺ وإنما قلت أن فرض لأننى أكاد أجزم أن حقيقة الكفر لا تقع ممن علم اتصال نسبه الصحيح بتلك البضعة الكريمة حاشاهم الله من ذلك وقد أحال بعضهم وقوع نحو الزنا واللواط ممن علم شرفه، فما ظنك بالكفر، هذا كله فيمن علم شرفه كما تقرر وأما من يشك فى شرفه فإن ثبت نسبه بوجه شرعى وجب على كل أحد تعظيمه لما فيه من الشرف والإنكار على ما فيه من الخلال التى تنكر شرعا لما تقرر أنه لا يلزم من الشرف عدم الفسق

وإن لم يثبت نسبه شرعا وادعاه ولم يعلم كذبه تعين التوقف عن تكذيبه؛ لأن الناس مأمونون على أنسابهم فليسلم له حاله.

ولا ينبغي للإنسان أن يتحسّى سمّا وهو قادر على السلامة، وإذا كان المنسوبون لرجل صالح يتوقاهم الناس ويعظمونهم لاجل ذلك فما بالك بالمنسوبين إلى سيد الخلق كلهم ﷺ وشرف وكرم وحشرنا فى زمرة محبيه ومحبى آله وأصحابه آمين انتهى.

وهو كلام فى غاية التحقيق سوى أن قوله أكاد أن اجرم أن حقيقة الكفر لا تقع إلى آخره الأولى فيه حذف كاد لما تقدم فى المقصد الأول من آية التطهير. والأحاديث الواردة بالقطع لهم فى الجنة وعدم انقطاع نسبهم يوم القيامة فإنه يدل على عدم وقوع حقيقة الكفر منهم بيقين، وقوله وإن لم يثبت نسبه شرعا وادعاه إلخ كلام حسن وأحسن منه قول سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى البحر المورود: واعلم يا أخى أن تعظيمنا للشريف الذى طعن فى صحة شرفه أوجه عند رسول الله ﷺ من تعظيم من صح نسبه لأن المحقق شرفه لا جميلة لأحد فى تعظيمه بخلاف غير المحقق الشرف إذا عظمناه على الرائحة فتأمل انتهى.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم اتصال نسبهم به ﷺ يوم القيامة وانتفاعهم به بخلاف سائر الأنساب فإنها تنقطع ولا ينتفع بها كما صرح به حديث «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى» وحديث «ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع يوم القيامة بلى إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة، وإنى أيها الناس فرط لكم على الحوض» وقوله تعالى: ﴿... فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ... ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون] ونحوه مخصوص بغيرهم.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم أن وجودهم فى الأرض أمان لأهلها كما وردت به الأحاديث كقوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل

الأرض» وفى رواية: «أمان لأمتى». وقد تقدم شرح ذلك فى المقصد الأول، واتفق شراح الحديث على تفسير أهل البيت فى الحديث بالذرية، وانفرد الترمذى فذهب إلى أن المراد منهم الأبدال وقد سبق الرد عليه فارجع إليه إن شئت.

قال العلامة ابن حجر: والحكمة فى اختصاص أولاد فاطمة بهذا الشرف دون أولاد سائر بناته ﷺ ما اختصت به رضى الله عنها من المزايا الكثيرة على أخواتها منها ما ورد أن الله زوّجها لعلىّ كرم الله وجهه فى السماء قبل أن يتزوجها فى الأرض، ومنها تمييزها عليهن بأنها سيدة نساء أهل الجنة، ومنها تمييزها عليهن بتسميتها بالزهراء إما لكونها لا تحيض من غير علة فكانت كنساء الجنة، وإما لكونها على ألوان نساء الجنة، أو لغير ذلك. فهذه المذكورات ونحوها مما امتازت به من الفضائل لا يبعد أن يكون هو الحكمة فى بقاء نسلها فى العالم أمنًا له من عموم الفتن.

أخبر الصادق المصدوق ﷺ بذلك بأنهم فى ذلك كالقرآن بقوله: «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى لن تضلوا ما استمسكتم بهما أبدا» قال: وأما الشرف الناشئ عما فيهم من البضعة الكريمة فلا يختص بأولاد فاطمة، فقد صرح المحققون بأنه لو عاش نسل زينب من أبى العاص أو نسل رقية وأم كلثوم من عثمان بن عفان رضى الله عنهم لكان لهم من الشرف والسيادة ما لنسل فاطمة رضى الله عنها.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم أنهم أول من يدخل الجنة؛ روى الثعلب عن علىّ رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس فقال لى: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا.

ومن خصائصهم رضى الله عنهم أنهم مع كونهم أولاد ابنته فاطمة يسمون أبناءه وينسبون إليه ﷺ نسبة صحيحة؛ أخرج الطبرانى قوله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبىّ فى صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب». وقوله ﷺ: «كل بنى أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم». قال فى الإسعاف: هذه الخصوصية لأولاد فاطمة فقط دون أولاد بقية بناته ﷺ فلا يطلق عليه ﷺ أنه أب لهم وأنهم بنوه كما يطلق ذلك فى أولاد فاطمة، نعم يطلق عليهم أنهم من ذريته ونسله وعقبه انتهى. وتقدم لك عن ابن حجر أنهم لو عاشوا لكان لهم من الشرف والسيادة ما لأولاد فاطمة من حيث البضعة الشريفة.

وعد الصبان من خصائصهم رضى الله عنهم أن من صنع مع أحد منهم معروفا كافأه النبى ﷺ يوم القيامة لقوله ﷺ: «من أراد التوسل وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليَصِلْ أهلَ بيتى ويدخل السرورَ عليهم». قال: ومنها أن محبتهم تطول العمر وتبيض الوجه يوم القيامة، وبضد ذلك بغضهم كما فى خبر أورده فى الصواعق أنه ﷺ قال: «من أحبَّ أن يُنسأَ - اى يؤخر - أَجَلُهُ وأن يُمتَّعَ بِمَا خَوَّلَه فَلْيَخْلُفْنِي فى أهلى خِلاَفَةً حَسَنَةً، فمن لم يَخْلُفْنى فيهم يُبَتَّرُ عمرهُ وورد علىّ يوم القيامة مسودا وجهه» ا هـ.

وهذا المعنى يوجد فى أصحابه ﷺ فإنا نرى مبغضيهم سود الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة، كما هو مشاهد لكل من فى قلبه إيمان. والمراد من طول العمر حصول البركة فيه حتى تكثر حسنات صاحبه وتقل سيئاته فافهم.

* * *

# فصل

## فى بعض فضائل الخمسة أهل العباء

## (أما سيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم)

## فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

لم يصل إلى ما وصل إليه ﷺ من الكمال والقرب من ذى الجلال نبى مرسل ولا ملك مقرّب وقد صرح الأئمة الأعلام كالفخر الرازى وابن حجر وغيرهما بأن فضل سائر الرسل والأنبياء لو اجتمعت فى واحد وقوبلت بفضائله ﷺ لرجحت فضائله ﷺ عليها، فهو أفضلهم خصوصا وعموما. وكما أنه ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق شريعته أفضل الشرائع وأمته خير الأمم وآله خير الآل وأصحابه خير الأصحاب ويجب على كل مسلم مطالعة الكتب التى الفت فى فضائله وأوصافه الشريفة ﷺ كالشفاء والمواهب وكتب السير حتى يعرف منزلة نبيه ﷺ وما خوله الله تعالى مما تعجز عن بيان حقيقته الألسنة والأقلام. ولا يزيد إلا جدة على تقادم الليالى والأيام.

ومجمل القول فيه أنه خير خلق الله وليس فوقه إلا الله أماتنا الله على ملته وحشرنا فى زمرته بجاهه ﷺ، وقد حبب لى أن أذكر هنا كيفية صلاة عليه ﷺ لسيدى العارف بالله محمد بن أبى الحسن البكرى الكبير رضى الله عنه لأنها من أبلغ الكيفيات وأجمع الصلوات، وقد اشتملت من صفاته الشريفة ﷺ على أكمل الصفات وهى:

اللهم صل وسلم على نورك الأسنى * وسرك الأبهى * وحبيك الأعلى * وصفيك الأزكى * واسطة أهل الحب * وقبلة أهل القرب * روح المشاهد الملكوتية * ولوح الأسرار القيومية * ترجمان الأزل والأبد * لسان الغيب الذى لا يحيط به أحد * صورة الحقيقة الفردانية * وحقيقة الصورة المزينة بالأنوار الرحمانية * إنسان الله المختص بالعبارة عنه * سر قابلية التهيؤ اللامكانى المتلقية منه * أحمد من حَمِد وحُمِد عند ربه * محمد الباطن والظاهر بتفعيل التكميل الذاتىّ فى مراتب قربه * غاية طرفى الدورة النبوية المتصلة بالأول نظرا وإمدادا * بداية نقطة الانفعال الوجودىّ إرشادا وإسعادا * أمين الله على سر الألوهية المطلسم * وحفيظه على غيب اللاهوتية المكتمّ * من لا تدرك العقول الكاملة منه إلا مقدار ما تقوم عليها به حجته الباهرة * ولا تعرف النفوس العرشية من حقيقته إلا ما يتعرف لها به من لوامع أنواره الزاهرة * منتهى همم القدسيين وقد بَدَوْا مما فوق عالم الطبائع * مرمى أبصار الموحدين وقد طَمَحَتْ لمشاهدة السر الجامع * من لا تجلى أشعة الله لقلب إلا من مِرآة سره * وهى النور المطلق * ولا تتلى مزاميره على لسان إلا برنات ذكره * وهو الوتر الشفعىّ المحقق * المحكوم بالجهل على كل من ادعى معرفة الله مجردة فى نفس الأمر عن نَفَسِه المحمدىّ * الفرع الحدْثانى المترعرع فى نمائه بما يمد به كل أصل أبدىّ * جنىّ شجرة القدم * خلاصة سنحتى الوجود والعدم * عبد الله ونعم العبد الذى به كمال الكمال * وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال. الداعى إلى الله على صراط مستقيم * نبى الأنبياء وممد الرسل عليه بالذات وعليهم منه أفضل الصلاة وأشرف التسليم * يا الله يا رحمن يا رحيم.

اللهم صل وسلم على جمال التجليات الاختصاصية * وجلال التدليات الاصطفائية * الباطن بك فى غيابات العز الأكبر * الظاهر بنورك فى مشارق المجد

الأفخر * عزيـز الحضرة الصمدية * وسلطان المملكة الأحدية * عـبدك من حيث أنت كمـا هو عبدك من حيث كـافة أسمائك وصـفاتك * مسـتوى تجلى عظمتك وعلمك ورحمتك وحكمك فى جميع مخلوقاتك * من كملت بنور قدسك مقلته فرأى ذاتك العلية جهارا * وسـترت عن كل أحد من خلقك فى باطنه لك أسرارا * وفلقت بكلمـة خصـوصيـته المحـمديـة بحار الجـمع * ومتّـعت منه بمعرفـتك وبجمالك وخطاباك القلب والبـصر والسمع * وأخّرت عن مقامـه تأخيرا ذاتيا كل أحد * وجعلتـه بحكم أحديتك وتر العدد * لواء عزتك الخـافق * لسان حكمتك الناطق * سيدنا مـحمد وعلى آله وصحـبه * وشيعتـه وورائيه وحزبه * يا الله يا رحمن يا رحيم.

اللهم صل وسلـم على دائرة الإحـاطة العظمى * ومـركـز مـحـيط الفلك الأسمى * عبـدك المختص من علومك بما لم تهيء له أحدًا من عـبادك * سلطان ممالك العـزة بك فى كـافـة بلادك * بحـر أنوارك الـذى تلاطمت برياح التـعـين الصمدانى أمواجه * قائد جيش النبـوة الذى تسارعت بك إليك أفواجه * خليفتك على كافة خليـفتك * أمينك على جميع بريتك * من غاية المجـدّ المجيد فى الثناء عليه الاعـتراف بالعجـز عن اكتناه صـفاته * ونهاية البليغ المـبالغ أن لا يصل إلى مبالغ الحمد على مكارمه وهباته * سيدنا وسيد كل من لك عليه سيادة * محمدك الذى استوجب من الحمـد بك لك إصداره وإيراده * وعلى آله الكرام * وأصحابه العظام * ووراثه الفخام * ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ... (٥٩)﴾ [النمل] سبعا أى يكرر هذه الآية تالى الصلوات سبع مرات، ثم يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ويقرأ الفاتحة ويهديهـا لمنشئ هذه الصلوات ويقول ربنا تـقبل منا إنك أنت السمـيع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحـيم وصلّى الله وسلّم على سيدنا محـمد وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

هذه الصلوات الشريفة تلقاها صاحبها القطب الكبير سيدى محمد البكرى رضى الله عنه من إملاء رسول الله ﷺ كما صرح بذلك سيدى العارف بالله السيد مصطفى البكرى رضى الله عنه فى شرحه عليها، والشيخ محمد البديرى القدسى فى ثبته وذكر لها فضلا عظيما ومزايا جليلة ذكرتها فى كتابى أفضل الصلوات على سيد السادات، فمن شاءها فليرجع إليه وهو كتاب نفيس فى بابه جامع لغرر صيغ الصلوات على النبى ﷺ لا يستغنى عنه كل مسلم.

## السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنه:

روى الترمذى وغيره عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أحب أهلى إلىّ فاطمة». وروى الطبرانى عن أبى هريرة أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: يا رسول الله أينا احب إليك أنا أم فاطمة. قال: «فاطمة أحب إلىّ منك وأنت أعز علىّ منها» قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فصرح ﷺ بأن فاطمة أحب إليه من علىّ واما كونه أعز فنحتاج إلى دليل هل هو أعلى من أحب أو دونه فتأمل اهـ.

وروى عن كثير من الصحابة أن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بُطنَان العرش يا أهل الجمع نكّسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمرّ فاطمة بنت محمد على الصراط إلى الجنة» وعن أبى أيوب فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمرّ البرق.

وروى ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت أحدا أشبه كلاما وحديثا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت قام إليها ورحب بها وأخذ بيدها وأجلسها فى مجلسه. وروى الطبرانى بإسناد صحيح على شرط الشيخين قالت عائشة رضى الله عنها: ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها. وروى الطبرانى وغيره بإسناد حسن عن علىّ أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة إن الله

يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. وفى الجامع الصغير «فاطمة بضعة منى يقبضنى ما يقبضها ويبسطنى ما يبسطها».

وروى البخارى أنه ﷺ قال: «فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها» وفى رواية فمن أغضبها أغضبنى. وروى ابن حبان وغيره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن ملكا من السماء لم يكن زارنى فاستأذن ربى فى زيارتى فبشرنى وأخبرنى أن فاطمة سيدة نساء أمتى.

وروى ابن عبد البر أنه ﷺ قال لها: «يا بنية ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين» قالت: يا أبت فأين مريم، قال: «تلك سيدة نساء عالمها» وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى السيدة مريم كثير من العلماء المحققين منهم التقىّ السبكي والجلال السيوطى والبدر الزركشى والتقىّ المقريزى. وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد أفضل. وسئل عن مثل ذلك ابن أبى داود فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منى ولا أعدل ببضعة رسول الله أحدا» وعبارة المناوى فى شرح قوله ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» قال جمع من السلف والخلف لا نعدل ببضعة المصطفى ﷺ أحدا. قال البعض: وبه يعلم أن بقية أولاده ﷺ كفاطمة رضى الله عنها انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر يدل لتفضيل بناته على زوجاته خبر أبى يعلى عن عمر مرفوعا تزوّجَ حَفصةَ خير من عثمان وتزوج عثمانُ خيرا من حفصة. وروى النسائى أنه ﷺ قال: «إن ابنتى فاطمة حوراء آدمية ولم تطمث». قال الحافظ السيوطى فى الخصائص: ومن خصائص ابنته فاطمة أنها كانت لا تحيض، وكانت إذا ولدت طهرت من نفاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها أى صلاة ولذلك سميت الزهراء، ولما جاعت وضع رسول الله ﷺ يده على صدرها فما جاعت بعد، ولما

احتضرت غسلت نفسها وأوصت أن لا يكشفها أحد فدفنها علىّ رضى الله عنه بغسلها ذلك انتهى.

وأما تسميتها بالبتول فقال الصبان سميت بذلك لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا ونسبا، والبتل فى اللغة القطع، قال: ومع كونها فى تلك المنزلة الرفيعة كانت رضى الله عنها فى غاية من ضيق العيش تنبيها للغافلين على أن الدنيا ليست مطمح نظر الكاملين.

روى أحمد أن بلالا أبطأ عن صلاة الصبح فقال له النبى ﷺ ما حبسك؟ قال مررت بفاطمة وهى تطحن والصبى يبكى، فقلت: إن شئت كفيتك الرحى، وإن شئت كفيتك الصبى فقالت أنا أرفق بابنى فذاك الذى حبسنى عنك. وروى أحمد بسند جيد عن علىّ أنه قال لفاطمة قد جاء أباكِ خَدَم كثير فاذهبى فاستخدميه ثم أتيا إليه جميعا فقالت فاطمة يا رسول الله لقد طحنت حتى كلت يدى وقد جاءك الله بسعة فأخدمنا يعنى أعطنا خادما، فقال والله لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ثم قال الا أخبركما بخير مما سألتمانى فقالا: بلى قال كلمات علمنيهن جبريل إذا أتيتما إلى فراشكما فاقرأ آية الكرسى وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين اهـ.

وقد زوجها ﷺ لعلىّ رضى الله عنه بأمر الله تعالى فى السنة الثانية من الهجرة عقد عليها فى المحرم على بعض الروايات ودخل بها فى ذى الحجة وهى ابنة خمس عشرة سنة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت ودعا لها ﷺ ليلة الدخول بقوله: «اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ودعا بمثله لعلىّ رضى الله عنه، ولهما بقوله ﷺ أيضا: «جمع الله شملكما» فجعل الله نسلها مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة وبقوله ﷺ مخاطبا لهما: «بارك الله فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب». قال

أنس رضى الله عنه: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب. وهذه خطبته ﷺ حين عقد النكاح بعد أن دعا أجلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان على رضى الله عنه غائبا قال ﷺ الحمد لله المحمود بنعمته بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم لأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقًا وأمرا مفترضا أوشج به الأرحام والزم به الأنام فقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ... (٥٤)﴾ [الفرقان] فأمر الله يجرى إلى قضائه وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، ثم إن الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من علىّ بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجته إياها على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك ثم دخل علىّ رضى الله عنه فتبسم رسول الله ﷺ فى وجهه وقال: «إن الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟» فخطب خطبة وقال: رضيت بذلك يا رسول الله ولم يتزوج عليها رضى الله عنه حتى ماتت. ولما خطب جويرية بنت أبى جهل قام ﷺ على المنبر وقال إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم علىّ بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم إنما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا فترك علىّ الخطبة.

قال أبو داود: حرم الله على علىّ رضى الله عنه أن ينكح على فاطمة رضى الله عنها مدة حياتها، توفيت رضى الله عنها بعد أبيها ﷺ بستة أشهر ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة احدى عشرة.

## أبو الحسنين أمير المؤمنين عليّ بن ابى طالب رضى الله عنه:

قال الحافظ ابن حجر هو أول الناس إسلاما فى قول الكثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى فى حِجْر النبى ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة الا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، وزوجه ابنته فاطمة وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد، ولما آخى النبى ﷺ بين أصحابه قال له أنت أخى. ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ. وقال غيره: وكان سبب ذلك تنقيص بنى أمية له فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشارا. وقد ولّد له الرافضة مناقب موضوعة هو غنىّ عنها وتتبع النسائى ما خصّ به من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئا كثيرا أسانيد أكثرها جياد.

وأخرج الشيخان فى صحيحيهما أنه ﷺ قال يوم خيبر: لأرفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه». فلما أصبح رسول الله ﷺ غدوا وكل واحد منهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله ﷺ: أين علىّ بن أبى طالب فقالوا هو يشتكى عينيه فأتى به فبصق فى عينيه فدعا له خيرا فأعطاه الراية. وعن عمر رضى الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم، وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل من حديث جابر أن النبى ﷺ لما رفع الراية لعلىّ يوم خيبر أسرع فجعلوا يقولون له ارفق حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض ثم اجتمع عليه سبعون رجلا حتى أعادوه، وبعثه ﷺ ليقرأ سورة براءة على قريش، وقال لا يذهب إلا رجل منى وأنا منه. وقال لبنى عمه: أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة فأبوا فقال علىّ: أنا، فقال ﷺ: «إنه وليى فى الدنيا والآخرة».

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه ﷺ قال: ما تريدون من علىّ إن عليا منى وأنا من علىّ وهو ولىّ كل مؤمن بعدى.

ونقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن مسند أحمد بن حنبل بسند جيد عن على رضى الله عنه قيل يا رسول الله من نؤمّرُ بعدك؟ قال: إن تُؤمّروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف فى الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليا وما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم للطريق المستقيم.

وعن ابن عباس قال: قال لى علىّ: يا ابن عباس إذا صليت العشاء الآخر فالحق إلى الجبانة، قال فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة، قال فقال لى: ما تفسير الألف من الحمد؟ قلت: لا أعلم، فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة ثم قال: ما تفسير اللام من الحمد، قلت: لا أعلم فتكلم فيها ساعة تامة، ثم قال: ما تفسير الحاء من الحمد قال قلت لا أعلم فتكلم فيها ساعة تامة ثم قال: ما تفسير الميم من الحمد قال قلت: لا أعلم فتكلم فيها ساعة تامة، قال: فما تفسير الدال من الحمد قال قلت: لا أدرى فتكلم فيها إلى أن بزغ عمود الفجر، قال: وقال لى قم يا ابن عباس إلى منزلك فتأهب لفرضك فقمت وقد وعيت ما قال ثم تفكرت فإذا علمى بالقرآن فى علم علىّ كالقرارة فى المُثْعَنْجَر. قال القرارة الغدير الصغير والمثعنجر البحر، وقال ابن عباس علم رسول الله من علم الله وعلم علىّ من علم رسول الله وعلمى من علم علىّ، وما علمى وعلم أصحاب محمد فى علم علىّ إلا كقطرة فى سبعة أبحر فانظر كيف تفاوت الخلق فى العلوم والفهوم.

ويقال إن عبد الله بن عباس أكثر البكاء على علىّ حتى ذهب بصره. قال أبو الطفيل شهدت عليا يخطب وهو يقول سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم به وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم

بنهار أم فى سهل أم فى جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب، وقال ابن عباس: لقد أعطى على تسعة أعشار العلم وايم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وكان معاوية يكتب فيما ينزل به فيسأل علىّ بن أبى طالب فلما بلغه قتله، قال: لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب، وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن. وسئل عطاء أكان فى أصحاب محمد أحد أعلم من علىّ قال: لا والله ما أعلمه. وقال معاوية يوما لضرار الصدائى أحد أصحاب علىّ: صف لى عليا، قال اعفنى يا أمير المؤمنين، قال: لتصفنّه، قال: أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وحشته، وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوىّ فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا غُرِّى غيرى إلىَّ تعرضت أم إلىَّ تشوفت هيهات قد أبتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار. قال حزنى حزن من ذبح ولدها على حجرها. وسيأتى تخصيصه أيضا بذكر نبذة أخرى من فضائله مع الخلفاء الراشدين فى خاتمة هذا الكتاب إظهارا للمزيتين وإيفاء بحق الفضيلتين.

**أبو محمد الحسن أمير المؤمنين سبط رسول الله وريحانته رضي الله عنه:**

هو آخر الخلفاء الراشدين بنص الحديث ولد رضى الله عنه فى نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة سماه النبى ﷺ الحسن وعقّ عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، قال أبو أحمد العسكرى سماه النبى ﷺ الحسن وكناه أبا محمد ولم يكن يعرف هذا الاسم فى الجاهلية، روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ حامل الحسن على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبى ﷺ: «ونعم الراكب». وعن البراء بن عارب قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعا الحسن بن علىّ على عاتقه وهو يقول: «اللهم إنى أحبه فأحبه». وفى البخارى عن أبى بكرة رأيت النبى ﷺ على المنبر والحسن بن علىّ معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول أن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. وعن أبى بكرة أيضا كان رسول الله ﷺ يصلى بالناس وكان الحسن بن علىّ يثب على ظهره إذا سجد يفعل ذلك غير مرة، قالوا إنك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد قال إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وعن عبد الله بن الزبير قال أشبه أهل النبى ﷺ به وأحبهم إليه الحسن رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته وهو راكع يفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر. وفى البخارى عن أبى مليكة عن عقبة بن الحارث قال صلى بنا أبو بكر العصر ثم خرج فرأى الحسن بن علىّ يلعب فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول بأبى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى، وعلىّ يضحك، وكانت فاطمة رضى الله عنهما تهز الحسن وتقول مثل ذلك.

وعن زهير بن الأرقم قال قام الحسن بن علىّ يخطب فقام رجل من أردشنوءة فقال أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه على حبوته وهو يقول من أحبنى فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب، ولولا كرامة النبى ﷺ ما حدثت به أحدا. وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ اللهم إنى أحبه وأحب من يحبه فما كان أحد أحب إلىّ من الحسن بعد أن قال رسول الله ﷺ ما قال.

وعنه رضى الله عنه قال ما رأيت الحسن بن علىّ قط إلا فاضت عيناى دموعا، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوما وأنا فى المسجد وأخذ بيدى واتكأ علىّ حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال ادع ابنى فأتى الحسن بن علىّ يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله ﷺ يفتح فمه أى الحسن ثم يدخل فمه فى فمه، ويقول اللهم إنى أحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات. قيل إنه رضى الله عنه حج عشر حجات ماشيا وكان يقول إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات فكان يترك نعلا ويأخذ نعلا، وخرج من ماله كله مرتين وتحقق فيه قوله ﷺ: إن ابنى هذا سيد الحديث، فإنه لما ولى الخلافة بعد قتل أبيه بايعه أكثر من أربعين ألفا كانوا بايعوا أباه على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحب له، وبقى خليفة نحو سبعة أشهر فى العراق وخراسان واليمن والحجاز وغير ذلك ثم سلم الأمر إلى معاوية بدون حرب وهو العزيز خوفا من إراقة دماء المسلمين، فلما بايعه خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة فقال: أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وكرر ذلك حتى ما بقى إلا من بكى حتى سمع نشيجه ولما دخل معاوية الكوفة قال له: قم يا حسن فكلم الناس فيما جرى بيننا فقام الحسن فى أمر لم يتروّ فيه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال فى بديهته: أما بعد أيها الناس فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم

بآخرنا الا إن أكيس الكيس التقى وأن أعجز العجز الفجور، وأن هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه إما أن يكون أحق به منى وإما أن يكون حقى تركته لله عز وجل ولإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائكم، ثم التفت إلى معاوية وقال: وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

قال العلامة الصبان ولما نزل عنها أى الخلافة ابتغاء وجه الله تعالى عوضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنية حتى ذهب قوم أن قطب الأولياء فى كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت، وممن قال يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسى كما نقله عنه تلميذه التاج ابن عطاء الله، وهل أول الأقطاب الحسن أو أول من تلقى القطبانية من المصطفى ﷺ فاطمة الزهراء مدة حياتها ثم انتقلت منها إلى أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىّ ثم الحسن. ذهب إلى الأول أبو العباس المرسى وإلى الثانى أبو المواهب التونسى كما فى طبقات المناوى؛ ورأيت فى شرح المناوى الكبير على الجامع الصغير ما نصه: قال الحر إلى سلسلة أهل الطريق تنتهى من كل وجه من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها إلى تاج العارفين أبى القاسم الجنيد، وبداية أبى القاسم أخذها من خاله السرىّ، والسرىّ اتتم بمعروف وكان معروف مولى علىّ بن موسى الرضى وهو عن آبائه رضى الله تعالى عنهم، فرجع الكل إلى علىّ كرم الله وجهه، أولئك حزب الله اهـ. ثم ذكر من كلامه رضى الله عنه المروءة العفاف وإصلاح الحال،

الإخاء المواساة فى الشدة والرخاء * الغنيمة الباردة الراغبة فى التقوى * وكان يقول لبنيه وبنى أخيه تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم ولما احتضر قال لأخيه الحسين رضى الله عنه يا أخى أوصيك أن لا تطلب الخلافة فإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فإياك أن يستخفك سفهاء الكوفة ويخرجونك فتندم حيث لا ينفعك الندم. وأخرج ابن سعد

عن سعيد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: تفاخر قوم من قريش فذكر كل رجل ما عنده، فقال معاوية للحسن بن عليّ رضى الله عنهما ما يمنعك من القول فما أنت بكليل اللسان، فقال ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولى محضها ولبابها ففيم الكلام، وقد سبقت مبرّزا.

وفى المسامرات للشيخ الأكبر قال معاوية يوما وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبرونى بأكرم الناس أبا وأما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسن عليه السلام فقال ها هو ذا؛ أبوه علىّ بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وجدته خديجة بنت خويلد وجده رسول الله ﷺ وعمه جعفر الطيار فى الجنة وعمته أم هانئ بنت أبى طالب وأخواله وخالاته أولاد النبى ﷺ فسكت القوم، ونهض الحسن فقام رجل من بنى سهم وقال أنت أمرت ابن عجلان على مقالته، فقال ابن عجلان ما قلت إلا حقا وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق، وإلا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته، بنو هاشم أنضركم عودا وأرقاكم زندا كذلك يا معاوية، فقال اللهم نعم. توفى الحسن رضى الله عنه مسموما سنة خمسين على أحد الأقوال ودفن فى البقيع رضى الله عنه.

**فائدة:**

قال الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء: أخرج البيهقى وابن عساكر من طرق أبى المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال أضاق الحسن بن علىّ وكان عطاؤه فى كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية فى إحدى السنين فأضاق إضاقة شديدة قال فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى ثم أمسكت فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال كيف أنت يا حسن فقلت: بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عنى، فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك، فقلت: نعم يا

رسول الله فكيف أصنع فقال: «قل اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك. اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر علىٰ لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا رب العالمين» قال فوالله ما ألححت به أسبوعا حتى بعث إلىّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: يا حسن كيف أنت فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثى فقال يا بنى هكذا من رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق.

## أبو عبد الله الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته رضى الله عنه،

ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة قال جعفر بن محمد لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهرا واحد وقيل خمسون ليلة وحنكه ﷺ بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعقّ عنه كان شجاعا مقداما من حيث كان طفلا. قاله فى الإسعاف وذكر فى فضله جملة أحاديث منها قوله ﷺ: «حسين منى وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط». وقوله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة- وفى لفظ - إلى سيد شباب أهل الجنة - فلينظر إلى الحسين بن علىّ. وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ جلس فى المسجد فقال: «أين لكع» فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره فجعل أصابعه فى لحية رسول الله ﷺ ففتح ﷺ فمه أى الحسين فأدخل فاه فى فيه ثم قال: «اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه». وعنه أيضا قال: رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة. وعنه أيضا: كان الحسين أشبههم برسول الله ﷺ.

وكان ابن عمر جالسا فى ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلا فقال هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم. وحج رضى الله عنه خمسا وعشرين حجة

ماشيا وكان فاضلا كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها. قاله ابن الأثير، وغيره قالوا: وكـان رضى الله عنه كارها لما فعله أخوه من تسليم الأمر إلى معاوية، فقال له: أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك، فقال له الحسن اسكت أنا أعلم بهذا الأمر منك.

قال الحافظ ابن الحجر العسقلانى فى الإصابة كانت إقامة الحسين بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وبقى معه إلى أن قتل، ثم مع أخيه إلى أن اسلم الأمر لمعـاوية فتحول مع أخيه إلى المدينة واستمـر بها إلى أن مات معـاوية فخرج إلى مكة ثم أتته كـتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب فأخذ بيعتهم وأرسل إليه فتوجه فكان من قضية قتله ما كان.

قال عمار بن معاوية الذهبى قلت لأبى جعفر بن على بن الحسن حدثنى عن مقتل الحسين حتى كأنى أحضره قال: مـات معاوية والوليد بن عقبة بن أبى سفيان على المدينة فأرسل إلى الحسين بن علىّ ليأخذ بيـعته ليلته فـقال أخرنى وارفق بى فخرج إلـى مكة فأتاه رسل أهل الكوفة أن قد حـبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحـضر الجمعة مع الوالى فاقدم علينا، قال، وكان النعمان بن بشير الأنصارى على الكوفة فبعث الحسين بن علىّ إليهم مسلم بن عقيل فقال سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلىّ فإن كان حقا قدمت إليهم فخرج مسلم حتى أتى المدينة فأخذ منها دليلين فمرا به فى البرية فـأصابهم عطش فـمات أحد الدليلين فـقدم مسلم الـكوفة فنزل على رجل يقال له عـوسجة، فلمـا علم أهل الكوفة بقدومـه دبوا إليه فبـايعه منهم اثنا عشـر ألفا فقام رجل ممن يهـوى يزيد بن معاوية إلى النعـمان بن بشير فـقال إنك ضعيف أو مستضعف قد فسد البلد فقال له النعمان لئن أكون ضعيفًا فى طاعة الله أحب إلىّ من أن أكون قويا فى معصيته ما كنت لأهتك سترا، فكتب الرجل بذلك

إلى يزيد فدعا يزيد مولى له يقال له سرحون فاستشاره فقال له ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد وكان يزيد ساخطا على عبيد الله وكان قد همّ بعزله عن البصرة فكتب إليه برضاه عنه وأنه قد أضاف إليه الكوفة وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل فإن ظفر به قتله، فأقبل عبيد الله بن زياد فى وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثما فلا يمر على أحد فيسلم عليه إلا قال له أهل المجلس عليك السلام يا ابن رسول الله يظنونه الحسين بن علىّ قدم عليهم، فلما نزل عبيد الله القصر دعا مولى له فدفع إليه ثلاثة آلاف درهم فقال اذهب حتى تسأل عن الرجل الذى يبايعه أهل الكوفة فادخل عليه وأعلمه أنك من حمص وادفع إليه المال وبايعه فلم يزل المولى يتلطف حتى دلوه على شيخ يلى البيعة فذكر له أمره فقال لقد سرنى أن هداك الله وساءنى أن أمرنا لم يستحكم ثم أدخله على مسلم بن عقيل فبايعه ودفع له المال وخرج حتى أتى عبيد الله فأخبره وتحول مسلم حين قدم عبيد الله من تلك الدار إلى دار أخرى فأقام عند هانئ بن عروة المرادى وكان عبيد الله قال لأهل الكوفة ما بال هانئ بن عروة لم يأتنى فخرج إليه محمد بن الأشعث فى أناس من وجوه أهل الكوفة وهو على باب داره فقالوا له إن الأمير ذكرك واستبطأك فانطلق إليه فركب معهم حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده شريح القاضى فما سلم عليه قال له يا هانئ أين مسلم بن عقيل؟ فقال: لا أدرى فأخرج إليه المولى الذى دفع الدراهم إلى مسلم فلما رآه سقط فى يده وقال أيها الأمير والله ما دعوته إلى منزلى ولكنه جاء فطرح نفسه علىّ فقال ائتنى به فتلكأ فاستدناه فادنوه منه فضربه بالقضيب وأمر بحبسه فبلغ الخبر قومه فاجتمعوا على باب القصر فسمع عبيد الله الجلبة فقال لشريح القاضى اخرج إليهم فأعلمهم إنما حبسته لأستخبره عن خبر مسلم ولا بأس عليه فبلغهم ذلك فتفرقوا، ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره فاجتمع إليه اربعون الفا من أهل الكوفة فركب وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم

عنده فى القصر فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردهم فكلموهم فجعلوا يتسللون فأمسى مسلم وليس عنده إلا عدد قليل منهم فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضًا، فلما بقى وحده تردد فى الطرق بالليل فأتى باب امرأة فقال لها اسقينى ماء فسقته فاستمر قائما فقالت يا عبد الله إنك مرتاب فما شأنك: قال: أنا مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم ادخل فدخل وكان لها ولد من موالى محمد بن الأشعث فانطلق إلى محمد بن الأشعث فأخبره فلم يفجأ مسلما إلا الدار قد أحيط بها فلما رأى ذلك خرج بسيفه يدفع عن نفسه فأعطاه محمد بن الأشعث الأمان فأمكن من يده فأتى به عبيد الله فأمر به فأصعد إلى القصر ثم قتله وقتل هانئ بن عروة وصلبهما، فقال شاعرهم فى ذلك أبياتا منها:

فإن كنت لا تدرى ما الموت فانظر    إلى هانئ فى السوق وابن عقيل

ولم يبلغ الحسين ذلك حتى كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له ارجع فإنى لم أدع لك خلفى خيرا وأخبره الخبر فهمّ أن يرجع وكان معه أخوه مسلم فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا ونقتل فساروا وكان عبيد الله قد جهز الجيش لملاقاته فوافوه بكربلاء فنزلها ومعه خمسة وأربعون نفسا من الفرسان ونحو مائة راجل فلقيه الجيش وأميرهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان عبيد الله ولاه الرىّ وكتب له بعهده عليها إذا رجع من حرب الحسين، فلما التقيا قال له الحسين اختر منى إحدى ثلاث: إما أن ألحق بثغر من الثغور، وإما أن أرجع إلى المدينة، وإما أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية. فقبل ذلك عمرو وكتب به إلى عبيد الله فكتب إليه لا أقبل منه حتى يضع يده فى يدى، فامتنع الحسين فقاتلوه فقتل أصحابه وفيهم سبعة عشر شابا من أهل بيته، ثم كان آخر ذلك أن قتل وأتى برأسه إلى عبيد الله فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد ومنهم علىّ بن الحسين كان مريضا ومنهم عمته زينب. فلما قدموا على يزيد أدخلهم إلى عياله ثم جهزهم إلى المدينة.

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه القصة قلت وقد صنف جماعة من القدماء في مقتل الحسين تصانيف فيها الغث والسمين والصحيح والسقيم، وفى هذه القصة التى سقتها غنى، قال: وقد صح عن إبراهيم النخعى أنه كان يقول لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ. وقال حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبى وأمى أنت يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم فكان ذلك اليوم الذى قتل فيه.

وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها سمعت الجن تنوح على الحسين بن علىّ، قال الزبير بن بكار قتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، قال ابن الأثير: وكان ذلك اليوم يوم الجمعة، وقيل يوم السبت، قال فى الإسعاف: وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والمبايعين له، وقيل أن قاتله سنان بن أنس النخعى أو غيره لما أتى ابن زياد أنشده

أوقر ركابى فضة وذهبا * إنى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب عليه وضرب عنقه قال: وفى قصة قتله تصديق لقوله ﷺ: «إن أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا، وأن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو مخزوم» رواه الحاكم. وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين، جهز إليه المختار بن عبيد جيشا تحت رئاسة إبراهيم بن الأشتر النخعى فقتله إبراهيم بنفسه فى الحرب وبعث برأسه الخبيث إلى المختار فبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى علىّ بن الحسين.

وروى الترمذى أنه لما جئ برأسه ونصب فى المسجد مع رؤوس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت فى منخرة فمكثت هنيهة ثم خرجت، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثا. وأخرج الحاكم وصححه على شرط مسلم عن ابن عباس قال أوحى الله إلى محمد ﷺ إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وإنى قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا. وعنه ﷺ قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا.

قال العلامة الصبان إن الإمام أحمد يقول بكفر يزيد وناهيك به روعا وعلما يقتضيان أنه لم يقل ذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب ذلك، ووافقه على ذلك جماعة كابن الجوزى وغيره، وأما فسقه فقد أجمعوا عليه وأجاز قوم من العلماء لعنه بخصوص اسمه انتهى. وسئل ابن الجوزى كيف يطلق على يزيد أنه قاتل الحسين مع أنه كان في الشام حين وقوع القتل بكربلاء فأنشد:

سهم أصابه وراميه بذى سلم * من العراق لقد أبعدت مرماك

قال ابن الأثير: وأكثر الناس مراثيه فمما قيل فيه ما قاله سليمان بن قبة الخزاعى:

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها أمثالها حين حلت

فلا يبعد الله البيوت وأهلها * وإن أصبحت منهم برغمى تخلت

وكانوا رجاء ثم عادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم * ولم تنك فى أعدائهم حين سلت

وإن قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة * لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وقد أعولت تبكى السماء لفقده * وأنجمها ناحت عليه وصلت

## ما ورد في فضل الحسنين معا رضى الله عنهما:

عن عليّ رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال لما ولد الحسن سميته حربا فجاء رسول الله ﷺ فقال أرونى ابنى ما سميتموه قلنا حربا قال: بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء النبى ﷺ فقال أرونى ابنى ما سميتموه قلنا حربا، قال: بل هو حسين، فلما ولد الثالث سميته حربا فجاء النبى ﷺ فقال أرونى ابنى ما سميتموه قلنا حربا قال: بل هو محسن، ثم قال: سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر.

وعن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا فى الجاهلية. وعن ابن الأعرابى عن المفضل قال: إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبى ﷺ ابنيه الحسن والحسين. وعن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا». وعن عليّ رضى الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك. وعن أبى هريرة كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدى رسول الله ﷺ ورسول الله يقول هى حسن قالت فاطمة لمَ تقول هى حسن قال: «إن جبريل يقول هى حسين». وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة عيسى ويحيى ابن زكريا عليهما السلام» وفى رواية: «وأبوهما خير منهما». وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: طرقت النبى ﷺ ذات ليلة فى بعض الحاجة فخرج إلىّ وهو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: «هذان ابناى وابنا بنتى، اللهم إنى أحبهما وأحب من يحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما».

وعن أبى بريدة قال: كان النبى ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما». وعن أبى هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال: «من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى». وعن عبد الله بن مسعود كان رسول الله ﷺ يصلى فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما فإذا قضى الصلاة وضعهما فى حجره فقال من أحبنى فليحب هذين. وعن أنس أنه ﷺ سئل أى أهل بيتك أحب إليك فقال: «الحسن والحسين». وعن فاطمة رضى الله عنها أنها أتت بهما إلى النبى ﷺ فقالت يا رسول لله هذان ابناك فورثهما شيئا فقال: «أما حسن فله هيبتى وسؤددى وأما حسين فله جرأتى وجودى».






# المقصد الثالث

في الكلام على ما في حبهم وتوابعه من الفوز العظيم

وما في بغضهم وتوابعه من المرتع الوخيم




قال الله تعالى: ﴿ ... قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى] القربى مصدر بمعنى القرابة وهو على تقدير مضاف أى ذوى القربى يعنى الأقرباء، وعبر بفى ولم يعبر باللام لأن الظرفية أبلغ وآكدا للمودة. نقل الإمام السيوطى فى الدر المنثور وكثير من المفسرين عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؛ قال: «عليّ وفاطمة وولدهما» وفيه عن ابن عباس قال: قال الأنصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم فى مجالسهم فقال: «يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى» قالوا بلى يا رسول الله قال: «أفلا تجيبونى؟» قالوا: ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك...» ما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ورسوله، فنزلت ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. وعن طاووس قال: سئل عنها ابن عباس فقال هى قربى آل محمد. وقال المقريزى لا أسالكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودوا قرابتى.

وعن أبى العالية عن سعيد بن جبير ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: هى قربى رسول الله ﷺ، وعن أبى إسحاق قال: سألت عمرو بن شعيب عن قول الله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال قربى النبى ﷺ.

تنبيه فإن قيل طلب الأجر على الوحى لا يجوز لقوله تعالى فى قصة كثير من الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿وما أسالكم عليه من أجر﴾ ورسولنا أفضل منهم فهو أولى بعدم طلب الأجر على الرسالة، وقد صرح ﷺ بنفى الطلب فقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص] وقد كان التبليغ

واجبا عليه قال تعالى ﴿... بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ... ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، وطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق كما لا يليق مقابلة الرسالة وهى أشرف الأشياء بمتاع الدنيا، وأيضًا طلب الأجر يوجب التهمة فثبت أنه لا يجوز له ﷺ طلب الأجر، وها هنا قد ذكر ما يجرى مجراه وهو المودة فى القربى. أجيب بأن هذا من باب قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب

يعنى أنى لا اطلب منكم إلا هذا وهو ليس أجرا لأن توادّ المسلمين واجب قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴿٧١﴾﴾ [التوبة] وقال ﷺ: «المؤمنون كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضًا» وإذا كانت المودة واجبة لبعض المسلمين على بعض فهى فى حق أشرف المرسلين وأهل بيته أولى أو أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله أجرا، ثم قال: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أى لكن أسألكم المودة فى القربى انتهى باختصار من الخطيب والخازن.

وعن السدى عن أبى الديلم قال لما جىء بعلىّ بن الحسين أسيرا وأقيم على درج دمشق قام رجل من أهلها فقال الحمد لله الذى قتلكم وأستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علىّ أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال قرأت آل حم قال قرأت ولم اقرأ آل حم قال: ما قرأت ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال فإنكم لإياهم قال: نعم. قلت ما أحسب أن هذا الرجل كان مؤمنا بلى كان مؤمنا ولكن بالجبت والطاغوت، فإن هذا الهذيان لا يصدر عن لسان مؤمن بالله ورسوله وكيف يستقر الإيمان فى قلب رجل يحمد الله على قتل آل المصطفى ﷺ واستئصالهم. وما أظن أن أبا جهل كان لله ورسوله أعدى من هذا الملحد، ولعلنا لا نعدم فى زماننا هذا من هو على شاكلته فى الضلال بكراهة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزية امتازوا بها أو منقبة إسندت إليهم ووصفوا بها من

الله تعالى أو رسوله ﷺ أو السلف الصالح أو علماء الأمـة وأوليائها يقطب وجهه ويتغيـر خلقه ويود بلسان حاله أن تلك المزية لم تكن لهـم، وقد يتكلف الأقاويل الواهية والأخبار الموضوعة والآثار المصنوعة ليطفئ بها نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون. ورأيت الـزمخشرى فى الكشاف عند هذه الآيـة روى حديثًا مطولا ونقله عنه الفخر الرازى فى الكبير، وهو قوله ﷺ: «من مات على حبّ آل محمد مات شهيـدا، الا ومن مات على حب آل محمد مات مـغفورا له، الا ومن مات على حب آل محـمد مات تائبًـا، الا ومن مات على حب آل مـحمد مـات مؤمنا مستكمل الإيمـان، الا ومن مات على حب آل محمـد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، الا ومن مات على حب آل محـمد يزفّ إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجـها، الا ومن مات على حب آل مـحمـد فتح له فى قبـره بابان إلى الجنة، الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، الا ومن مات على بغض آل محـمد جاء يوم القيامـة مكتوبًا بين عينيـه آيس من رحمة الله، الا ومن مات على بغض آل محـمد مات كافرا، الا ومن مات على بغض آل مـحمد لـم يشم رائحة الجنة. قال الفخر: وأنا أقـول آل محمد ﷺ هم الذين يئول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليا والحسن والحـسين كـان التعلق بينهم وبين رسـول الله ﷺ أشد التـعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل.

وأيضًا اختلف الناس فى الآل فـقيل هم الأقارب وقيل هم أمتـه فإن حملناه على القـرابة فهم الآل وإن حملـناه على الأمة الذين قـبلوا دعوته فـهم أيضًا الآل فثبت أنهم على جـميع التقديرات الآل، وأما غـيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه. وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؛ فقال: «علىّ وفاطمة وابناهما» فثبت أن

هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، يدل عليه وجوه:

الأول قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

الثاني لا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام، قال ﷺ: «فاطمة بضعة منى يؤذيني ما يؤذيها»، وثبت بالنقل المتواتر عن محمد ﷺ أنه كان يحب عليا والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى: ﴿... وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]، ولقوله تعالى: ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ... ﴿٦٣﴾﴾ [النور]، ولقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

الثالث أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد فى الصلاة وهو فى قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» وهذا التعظيم لم يوجد فى حق غير الآل فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب انتهى.

وقال سلطان العارفين وإمام الصوفية الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى الباب التاسع والعشرين من الفتوحات المكية بعد كلام تقدم نقله فى المقصد الأول: وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه لا ينبغى لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلا فإن الله تعالى طهرهم فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه ولو ظلموه فذلك الظلم هو فى زعمه ظلم لا فى نفس الأمر، وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه بل حكم ظلمهم إيانا فى نفس الأمر يشبه جرى المقادير علينا وعلى من جرت عليه فى ماله ونفسه بغرق أو بحرق أو غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحبائه أو يصاب فى نفسه، وهذا كله مما لا يوافق غرضه ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه بل ينبغى به أن يقابل ذلك

كله بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإن فى طى ذلك نعما من الله لهـذا المصاب وليس وراءه ما ذكرناه خير فان ما وراءه ليس إلا الـضجر والسخط وعدم الرضـا وسوء الأدب مع الله، فكذا ينبغى أن يقابل المسلم جـميع ما يطرأ عليه من أهل البيت فى ماله ونفـسه وعرضه وأهله وذويه، فـيقابل ذلك كله بـالرضا والتسليـم والصبر، ولا يلحق المـذمة بهم أصلا وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شـرعا فذلك لا يقدح فى هذا بل يجريه مجرى المقـادير وإنما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معـهم فيه قدم، وأما أداء الحقـوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ كان يقـترض من اليهود وإذا طالبوه بحـقوقهم أداهـا على أحسن ما يمكن، وإذا تطاول الـيهودى عليـه بالقول يقـول دعوه إن لصاحـب الحق مقالاً. وقـال ﷺ فى قصـة: «لو أن فاطمـة بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها» وقد أعاذها الله من ذلك رضى الله عنها، فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء وعلى أىّ حـال يشاء، فهذه حقوق الله تعالى، ومع هذا لم يذمهم الله وإنما كلامنا فى حقوقنا ومـا لنا أن نطالبهم به فنحن مخيرون إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا. والترك أفضل عموما، فكيف بأهل البيت؟، وليس لنا ذم أحد فكيف بأهل البيت، فإذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم فى ذلك أى فيمـا أصابوه منا كانت لنا بذلك عند الله اليـد العظمى والمكانة الزلفى، فإن النبى ﷺ ما طلب منا عن أمـر الله إلا المودة فى القربى وفيه سـر صلة الأرحام ومن لم يقبل سؤال نبـيه فيمـا سأله فيه مما هو قادر عليـه، فبأى وجه يلقـاه غدا أو يرجو شفاعته وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودة فى قرابته فكيف بأهل بيته وهم أخص القرابة ثم إنه جـاء بلفظ المودة وهى الثبوت على المحبـة فإنه من ثبت وده فى أمر استصـحبه فى كل حال وإذا استصحبـته المودة فى كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم فى حقه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثار على نفسه لا لها.

قال المحب الصادق: وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

وقال الآخر:

أحب لأجلها السودان حتى * أحب لأجلها سود الكلاب

ولنا فى هذا المعنى

أحب لحبك الحبشان طرا * وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها أعنى المجنون، فهذا فعل المحب فى حب من لا تسعده محبته وعند الله لا تورثه القرب من الله فهل هذا إلا من صدق المحبة وثبوت الود فى النفس فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم فى حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال تتنعم بوقوعه منهم، فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذى أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسول الله ﷺ فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة طهرها الله بتطهيره طهارة لا يبلغها علمك، وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل بيت رسول الله ﷺ الذى أنت محتاج إليه دله عليك المنة خيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك الذى تزعم به أنك شديد الحب فىّ والرعاية لحقوقى وجانبى وأنت فى حق أهل بيت نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم، والله ما ذاك إلا من نقص إيمانك ومن مكر الله بل واستدراجه إياك من حيث لا تعلم وصورة المكر أن تقول وتعتقد إلا ما أباح الله لك طلبه ويندرج الذم فى ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وإيثارك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك والدواء الشافى من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقا وتنزل عن حقك لئلا يندرج فى طلبه ما ذكرته لك، وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد أو إنصاف مظلوم أو رد حق إلى أهله، وإن كنت حاكما ولا بد فاسع فى

استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى فحينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه، فلو كشف الله لك يا وليّ عن منازلهم عند الله فى الدار الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم، فالله يلهمنا رشد أنفسنا. انتهى كلام الشيخ الأكبر رضى الله عنه ونفعنا به.

ثم بعد أسطر: ومن أسرارهم يعنى الأقطاب ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت وما قد نبه الله على علو رتبتهم فى ذلك. ومن أسرارهم علم المكر الذى مكر الله بعباده فى بغضهم مع دعواهم حب رسول الله ﷺ وسؤاله المودة فى القربى وهو ﷺ من جملة أهل البيت فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله ﷺ عن أمر الله فعصوا الله ورسوله وما أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان فبأغراضهم أحبوا وبأنفسهم تعشقوا. انتهت عبارة الشيخ الأكبر رضى الله عنه ونفعنا بعلومه وبركاته.

واعلم أن حكم مودة أهل البيت بعضهم لبعض كحكم مودة الأجانب لهم فى الوجوب بل هى أولى لما فيها من زيادة صلة الرحم نرجع للآية. قيل إن القربى هم ولد عبد المطلب وعليه مشى القسطلانى فى المواهب فقال المراد بالقربى من ينسب إلى جده الأقرب عبد المطلب. وقال ابن حجر فى الصواعق: المراد بأهل البيت والآل وذوى القربى فى كل ما جاء فى فضلهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب، ورجحه الصبان فى إسعاف الراغبين وزاد العترة قال: فالألفاظ الأربعة بمعنى واحد كما فى المواهب. وقال ابن عطية: قريش كلها عندى قربى وإن كانت تتفاضل.

وقال الإمام المقريزى: ويظهر لى أن الخطاب فى الآية عام لجميع من آمن، وذلك أن العرب بأسرها قوم رسول الله ﷺ الذين هو منهم فيتعين على من سواهم من العجم أن يودوهم ويحبوهم. وقد جاءت فى الأمر بحب العرب

أحاديث، وأن قريشا أقرب إلى رسول إلى ﷺ من سائر العرب، فعلى كل عربى أن يوقر قريشا ويحبهم من أجل أنهم قوم رسول الله ﷺ. وقد وردت أحادث فى تفضيل قريش وفى تقديمها على غيرها، وأن بنى هاشم رهط رسول الله ﷺ وأسرته فيجب على من عداهم من قريش محبتهم ومودتهم وأن عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وذريتهما أقرب من رسول الله ﷺ فيجب على بنى هاشم مودتهم وإكرامهم وفوق كل ذى علم عليم انتهى قوله.

فيجب على بنى هاشم مودتهم يعنى وتجب على قريش والعرب والعجم وهذا التقدير فيما قبله، وقوله: وقد جاءت فى حب العرب أحاديث ثم قوله: وقد وردت أحاديث فى تفضيل قريش وتقديمها على غيرها؛ فمما ورد فى فضل قريش قوله ﷺ: «الناس تبع لقريش فى الخير والشر». وقوله ﷺ: «من يرد هوان قريش أهانه الله». وقوله ﷺ: «فضل الله قريشا بسبع خصل لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطيها أحدا بعدهم: فضل الله قريشا بأنى منهم وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم الله على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وأنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحدا غيرهم لإيلاف قريش». وقال ﷺ: «الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم، وأن الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا». وقال ﷺ: «يا أيها الناس لا تذموا قريشا فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فإنهم أعلم منكم لولا أن تبطر قريش لأعلمتها بالذى لها عند الله عز وجل». وقال ﷺ: «أحبوا قريشا فإنه من أحبهم أحبه الله». وقال ﷺ: «حب قريش إيمان وبغضهم كفر». وقال ﷺ: «قدموا قريشا ولا تقدموها، ولولا أن تبطر قريش لأخبرتها بمالها عند الله». وقال ﷺ: «قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم، كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح. قريش خالصة الله تعالى فمن

نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة». وقال ﷺ: «لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما». قال الإمام أحمد وغيره: هذا العالم هو الشافعى لأنه لم يحفظ لقرشىّ من انتشار علمه فى الآفاق ما حفظ للشافعى. ومن مناقبه رضى الله عنه ما حدث به صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل قال: جاء الشافعى يوما إلى أبى يعوده وكان عليلا فوثب إليه أبى وقبله بين عينيه ثم أجلسه فى مكانه وجلس بين يديه ثم أخذ يسأله ساعة فساعة، فلما قام الشافعى وركب أخذ أبى بركابه ومشى معه فبلغ يحيى بن معين ذلك فقال يا سبحان الله لم فعلت ذلك؟ فقال: إنى لو مشيت من جانب وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من جانب آخر لانتفعت به من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة وأشار إلى بغلة الشافعى رضى الله عنه وعن سائر الأئمة.

أما الأحاديث الواردة فى حب العرب وفضلهم فمنها قوله ﷺ: «حب العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى». وقوله ﷺ: «أحبوا العرب لثلاث لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربىّ».

قال المناوى فى شرح هذا الحديث: وهذه الجمل واردة مورد الحث على حب العرب وهو منزل على قيد الحيثية أى من حيث كونهم عربا، وقد يعرض لهم ما يقتضى الزيادة على هذا الحب باعتبار ما يقوم بهم من وصف الإيمان والتفاضل فيه بحسب ما يعرض لهم من كفر ونفاق، قال سبحانه فى شأن قوم منهم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ... ﴿٩٧﴾﴾ [التوبة]، فإذا وفق العبد لمحبتهم من حيث كون المصطفى منهم وأن القرآن أنزل بلغتهم وأن كلام الرفيق الأعلى بلسانهم لعذوبته وفصاحته واستقامته كان ذلك واسطة فى حبه ﷺ. وإذا خذل فأبغضهم من الجهات المذكورة كان لازمة بغضه عليه الصلاة والسلام هو كفر، وإذا أبغضهم من

حيث كفرهم أو نفاقهم كان ذلك واجبا. فاستبان أنه قد يجب الحب وقد يجب البغض ويبقى مطلق الحب من الحيثية التى سبق الكلام عليها.

واعلم أن ستة من الأنبياء من العرب نوح وهود وإسماعيل وصالح وشعيب ومحمد ﷺ وباقيهم من غيرهم انتهى. وقوله ﷺ: «من أحب العرب فهو حبيبى حقا» قال العزيزى لأنهم هُم الذين باعوا أنفسهم لله تعالى حتى أظهروا الإسلام وأزاحوا ظلمة الكفر، وفى المناوى: علامة صدق الحب حب كل ما ينسب إلى المحبوب فإن من يحب إنسانا يحب كلب محلته، فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه؛ وذلك ليس شركة فى حب الله تعالى فإن من أحب رسول المحبوب لكونه رسوله وكلامه لكونه كلامه ومن ينتمى إليه لكونه من حزبه لم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل كمال حبه ا هـ.

وقوله ﷺ: «من سب العرب فأولئك هم المشركون». وقوله ﷺ: «من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى». وروى الترمذى عن سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك» قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله؟ قال: «تبغض العرب فتبغضنى». وعن علىّ رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا يبغض العرب إلا منافق». وقال ﷺ: «إن لواء الحمد بيدى يوم القيامة وإن أقرب الخلائق من لوائى يومئذ العرب». وقال ﷺ: «إذا ذلت العرب ذل الإسلام». قال المناوى أى أهله أو نفسه لأن شؤم ذلك يعود على الدين بالوهن والضعف، وذلك لأن أصل الإسلام نشأ منهم وبهم ظهر وانتشر فإذا ذلوا أى ذل أى نقص ولأن الإسلام لا يصلح وينتظم حاله إلا بالجود والسماحة واللين والمودة والرفق وتجنب البخل والضيق والعجلة والحقد والحرص، والعرب سهلة نفوسها كريمة طباعها زكية

أخلاقها، لا ينكر ذلك إلا معاند ولا يجحده إلا مارد، فإذا كانوا فى عز فالإسلام فى عز، وإن ذلوا ذل. فبتلك الخلال فضلوا لا باللسان العربىّ فحسب، ومعنى إذا ذلت أى ضعف أمرها وهان قدرها وظلموا وازدروا واحتقروا وفضل عليهم غيرهم انتهى. وقال فى قوله ﷺ: «حب العرب إيمان وبغضهم نفاق» أى إذا حبهم إنسان كان حبهم آية إيمانه، وإذا بغضهم كان بغضهم علامة نفاقه؛ لأن هذا الدين نشأ منهم وكان قيامه بسيوفهم وهممهم والظاهر من حال من أبغضهم أنه إنما بغضهم لذلك وهو كفر.

وقد اطلعت على كتاب سر الأدب فى مجارى كلام العرب لأبى منصور الثعالبى فوجدته ذكر فى خطبته كلاما يناسب ما نحن فيه. قال رحمة الله بعد البسملة والحمدلة: أما بعد فإن من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا المصطفى ﷺ، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب اللغة العربية عنى بها وثابر عليها وصرف همه إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه قوة بصيرة وحسن سريرة اعتقد أن محمدا ﷺ خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هى أداة العلم ومصباح التفقه فى الدين ومفتاح إصلاح المعاش والمعاد، ثم هى لإحراز الفضائل والاحتواء على المروآت والمناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن فى الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر فى جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين فى إعجاز القرآن وزيادة البصيرة فى إثبات النبوة الذى هو عمدة الإيمان لكفى به فضلا يحسن أثره ويطيب ثمره، فكيف وأيسر ما خصها الله به من ضروب المناقب وفنون المحاسن يكل أقلام الكتبة ويتعب أنامل الحسبة ا هـ.

## تنبيه:

اعلم أن جميع ما ورد عن الشارع مما فيه وصف المبغض لقريش أو للعرب أو لأهل البيت أو سابّهم أو الغاش لهم بالكفر والنفاق ونحوهما فهو محمول على ما إذا كان ذلك لكون رسول الله ﷺ منهم وكونهم جنسه وحزبه وأهل بيته، أما إذا كان البغض ونحوه لمعنى آخر لا تعلق له بالجنسية والحزبية والأهلية فقد يختلف حكمه كما يفهم فى شروح الحديث وغيرها، بل هو أمر معلوم من قواعد الدين.

قال ابن تيمية فى قوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم» أفاد الخبر أن العرب أفضل من جنس العجم، وأن قريشا أفضل العرب، وأن بنى هاشم أفضل قريش، وأن المصطفى ﷺ أفضل بنى هاشم، فهو ﷺ أفضل الناس نفسا ونسبا وليس فضل العرب، فقريش فبنى هاشم بمجرد كون النبى ﷺ منهم، وإن كان هذا الفضل بل هم فى أنفسهم فضل، وبذلك يثبت للنبى ﷺ أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا لزم الدور انتهى.

أقول إذا علمت هذا فاعلم أن جميع ما ورد فى تفضيل العرب والإغراء بمحبتهم وإكرامهم والتحذير من كراهتهم وأذاهم بالسب والغش ونحوهما هو شامل لقريش لأنهم صفوة العرب، وأن جميع ذلك كالوارد فى خصوص قريش شامل لبنى هاشم لأنهم صفوة قريش، وما ورد فى بنى هاشم فمن فوقهم شامل لأهل البيت سواء قلنا هم بنو عبد المطلب أو خصوص علىّ وفاطمة والحسن والحسين؛ لأنهم صفوة الصفوة.

وخلاصة الخلاصة وخيرة الخيرة ولا ينعكس ذلك، فقد اختص أهل البيت بمزايا لم توجد فى بنى هاشم واختص بنو هاشم بمناقب عريت منها قريش واختصت قريش بفضائل فقدها سائر العرب، وفى قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أقوال أخرى منها ما ذكره الطبرى بقوله معناه قل لا أسالكم عليه أجرا يا معشر قريش إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وتصلوا الرحم التى بينى وبينكم. قال ابن عباس وابن اسحاق وقتادة.

لم يكن فى قريش بطن إلا ولرسول الله ﷺ فيهم نسب أو صهر، فالآية على هذا استعطاف لدفع أذاهم وطلب السلامة منهم، وقد علمت من النقول المتقدمة أن كونها فى ذوى قرابته ﷺ هو الراجح وعلىّ فاطمة والحسن والحسين وبنوهما إلى يوم القيامة داخلون على كل حال سواء جرينا على القول بأنها فيهم خاصة أو أنها فى مؤمنى بنى عبد المطلب أو فى مؤمنى بنى هاشم.



# فصل

اخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿... وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ... ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى] قال: المودة لآل محمد * وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به، وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى» * وعن ابن مسعود رضى الله عنه حب آل محمد يوما خير من عبادة سنة * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهلى من بعدى» * وأخرج الطبرانى وغيره أنه ﷺ قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتى أحب إليه من عترته وأهلى أحب إليه من أهله وذاتى أحب إليه من ذاته» * وقال ﷺ: «يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين» * وروى عنه ﷺ أنه قال: «الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا» * وقال ﷺ: «من أراد التوسل وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم» أخرجه الديملى * وعن علىّ رضى الله عنه أخبرنى رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين فقلت يا رسول الله فمحبونا قال من ورائكم * وأخرج الإمام أحمد أنه ﷺ أخذ بيد الحسين وقال: «من أحبنى وأحب هذين وأمهما وأباهما كان معى فى درجتى يوم القيامة» والمراد معية المشاهدة لا معية المنزلة * وقال ﷺ: «من اصطنع لأحد من ولد عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلىّ مكافأته غدا يوم القيامة إذا لقينى» أخرجه الطبرانى مرفوعا * وقال ﷺ: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى

لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه» * وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن الحسن ابن علىّ رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شىء أساس، وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله ﷺ وحب أهل بيته» * وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وعن حبنا أهل البيت» * وأخرج الديلمى عن علىّ رضى الله عنه أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتى وأصحابى * وفى صحيح أن العباس رضى الله عنه شكا إلى رسول الله ﷺ ما تفعل قريش من تعبيسهم فى وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عِرق بين عينيه وقال ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم منى. وفى رواية والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله.

وقال رسول الله ﷺ: «خمس من أوتيهن لم يعذر على ترك عمل الآخرة: زوجة صالحة وبنون أبرار وحسن مخالطة الناس ومعيشة فى بلده وحب آل محمد ﷺ» * وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر قال: آخر ما تكلم به النبى ﷺ: «اخلفونى فى أهل بيتى» * وعن علىّ كرم الله وجهه قال: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن * وقال ﷺ: «إن الله له حرمات ثلاثا من حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئا» قيل: وما هى يا رسول الله، قال: «حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى» * وقد جرى على كمال مودتهم أكابر السلف والخلف وسيدهم أبو بكر الصديق، فقد ثبت عنه رضى الله عنه أنه قال صلة قرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ من صلة قرابتى.

وأخرج البخارى عنـه رضى الله عنه قوله ارقبوا محمدا فـى أهل بيته. قال ابن علان فى شـرح رياض الصالحين قـال المصنف يعنى الإمام النووى ارقـبوا أى راعوه واحـترموه وأكرمـوه ا هـ. وقال المناوى قال الحـافظ الزرندى: لم يكن أحد من العلماء المجـتهدين والأئمـة المهتدين إلا وله فى ولاية أهل البـيت الحظ الوافر والفخر الزاهر كما أمر الله بقوله: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ا هـ قلت وإنما قيد الحـافظ بالعلماء المجتهـدين والأئمة المهتدين لأنهم قـدوة الأمة فإذا كانت هذه صـفتهم فـلا ينبغى لمؤمن أن يتـخلف عنهم فإن وصف الإيمـان كاف لوجوب مـودة أهل البيت رضـى الله عنهم وبقدر زيادته تكون زيادتهـا، ومن هنا كان للعلماء المجتهدين والأئمة المهتدين فى موالاتهم الحظ الوافر والفخر الزاهر.

هذا الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه والى إبراهيم بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحـسن الـسبط رضوان الله عليـهم وأفتى الناس بلزوم وجودهم معه ومع أخيه محمد، وقيل إن سجنه رضى الله عنه كان فى الباطن لهذا الـسبب، وفى الظاهر لامتناعه من القضاء.

وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه والى إبراهيم بن زيد بن على زين العابدين ابن الحـسين رضى الله عنهم وأفتى الناس بلزوم وجـودهم معه واختـفى من أجله عـدة سنين وقيل إن الذى والاه الإمـام مالك هو مـحمـد أخو إبراهيم بن عبـد الله المحض الذى والاه الإمام أبو حنيفة * ولا أحـفظ عن الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضى الله عنه شـيئا مخصوصا فى ذلك غـير أنه مع كمال ورعه ودقـة نظره قال بكفـر يزيد بن معـاوية وجواز لعنه ومـا ذاك إلا لوالائه لآل مصطفى ﷺ مع ما ثبت عنده من الدليل * أما الإمام القرشىّ ابن عم النبى محمد ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه فقد حمل إلى بغـداد مكبلا بالقيود بسبب شدة ولائه لآل الرسول ﷺ ووقع له فى ذلك أمور يطول شرحها بل بلغ معه الحال فى محبتهم إلى أن نسبه أهل الزيغ والضلال إلى الرفض حاشاه ثم حاشاه.

روى ابن السبكى فى طبقاته بسنده المتصل إلى الربيع بن سليمان المرادى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه قال خرجنا مع الشافعى من مكة نريد منى فلم ينزل واديا ولم يصعد شعبا إلا وهو يقول:

**يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بقاعد خيفها والناهض**

**سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض**

**إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى**

وقد نص رضى الله عنه على فريضة محبتهم بقوله:

**يا آل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن أنزله**

**يكفيكم من عظيم الفخر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له**

قال الصبان أى صلاة كاملة أو صحيحة على قول مرجوح للشافعى وقوله فى القرآن أنزله هو قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فانظر وفقنا الله وإياك إلى هؤلاء الأئمة وهداة الأمة واقف آثارهم فى محبة أهل بيت النبوة رضى الله عنهم فإنك إن كنت مسلما سنيا لا تخلو من أن تكون مقلدا فى أمر دينك أحد هؤلاء الأئمة الأربعة الأعلام، ومع كونهم رضى الله عنهم اختلفوا فى كثير من المسائل قد اتفقوا على هذه المسألة كما ترى، وإن كنت أيها الناظر فى كتابى هذا يزيديا أو زياديا فانظر إلى سيرة أسلافك اللئام تجدها سيرة أهل النار * وتصفح أخبارهم تجدها أخبار عار وشنار * فإن كنت عاقلا فلا بد وأن تعلم أنهم كانوا على أقبح ضلالة * وأفضح جهالة * فتكون على خلاف ما كانوا عليه تدخل الجنة دار المتقين * وتحشر فى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين * وإن أبيت إلا مشاركة سلفك فى السعير * وبئس المصير.

فالزم طريقتهم تفز بما فازوا به من السبق إلى غايات الضلال * ويحق عليك كما حق عليهم الهلاك والوبال * وتسحب إلى جحيم كما سحبوا بالسلاسل والاغلال * ولا محيد لك عن إحدى هاتين الدارين فاختر منهما ما تختار * فليس ثمة إلا الجنة أو النار.

قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى المنن: ومما منّ الله تبارك وتعالى به علىّ كثرة تعظيمى للشرفاء وإن طعن الناس فى نسبهم، وأرى ذلك التعظيم من بعض ما يستحقونه علىّ وكذلك أولاد العلماء والأولياء وتعظيمهم وإكرامهم بطريقه الشرعىّ ولو كانوا على غير قدم الاستقامة، ثم من أقل ما أعامل به الشريف فى الإجلال والتعظيم أن أعامله مثل ما أعامل نائب أى والى مصر أو قاضى العسكر. ومن جملة الأدب مع الشرفاء أن لا يجلس أحدنا على فرش أو مرتبة أو صفة و الشريف بضد ذلك وأن لا نتزوج لهم مطلقة أو زوجة ماتوا عنها وكذلك لا نتزوج شريفة إلا إن كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وأن يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا نقتر عليها فى المأكل والملبس دون قدرتنا ونقول: إن جدك رسول الله ﷺ اختار ذلك، وكذلك لا نمنعها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعلها إذا قامت واحتاجت ونقوم لها إذا وردت علينا لأنها بضعة من رسول الله ﷺ. وكذلك لا ننظر لها بدنا ولو لبيع وشراء إلا أن تعين ذلك علينا شرعا ولا ننظر رجلها إذا كان أحدنا بائع أخفاف ولا نمنعن النظر إليها فى الإزار إذا مرت علينا. فإن ذلك يغضب جدها رسول الله ﷺ.

وقال رضى الله عنه ونفعنا ببركاته فى كتابه البحر المورود فى المواثيق والعهود: أخذ علينا العهود أنه لا نتزوج شريفة إلا أن كنا نعد أنفسنا من خدامها؛ لأنها بضعة من رسول الله ﷺ فمن كان يرى نفسه رقيقا لها ويعتقد أنه متى خرج

عن طاعتها أبق وأساء فليتزوج ومن لا فلا ينبغي له ذلك، ويقال لمن تزوجها للتبرك السلامة مقدمة على الغنيمة لا سيما إن تزوج عليها أو تسرى أو آذاها ببخله وشحه. ويمكن المؤمن التبرك بها بالإحسان إليها من غير تزوج. وبالجملة فلا يقدر على القيام بحق الشريفة وإكرامها إلا من ماتت نفسه وصح له مقام الزهد فى الدنيا وباشر الإيمان قلبه بحيث صار أولاد رسول الله ﷺ أحب إليه من أهله وولده وماله، فإن كل شىء يؤذى الشرفاء يؤذى رسول الله ﷺ.

وكان سيدى على الخواص ينهى من ينظر للشريفة وهى فى الإزار والنقاب والخف ويقول للرائى أنت لو رأيت شخصا يمعن النظر إلى بنتك فى الإزار ما كنت تشوش، فكذلك رسول الله ﷺ، قلت: وينبغى لمتدين إذا بايع الشريفة أو فصدها أو داواها أن لا يفعل ذلك إلا وهو فى غاية الخجل والحياء من رسول الله ﷺ لا سيما بائع الأخفاف وإن كنت يا أخى ممن يشدد فى العمل بفروع الشريعة وأنه لا بد لك من رؤيتها لتشهد عليها مثلا فاستأذن بقلبك صاحب الشرع وانظر، وإن كنت يا أخى كامل المحبة لأولاد رسول الله ﷺ فأرهد إليهم ما يريدون يشترونه منك، ثم قال رضى الله عنه أخذ علينا العهود إذا كان لنا بنت أو أخت لها جهاز كبير وخطبها شريف فقير لا يملك غير مهرها وقوت يومه وليلته أن نزوجه ولا نرده، وذلك أن الفقر ليس بعيب نرد به الخطبة، بل هو شرف. وقد تمنى رسول الله ﷺ بل سأل ربه عز وجل أن يحشره فى زمرة الفقراء والمساكين وقال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» أى لا يفضل منه شىء فى غداء ولا عشاء. فشىء اختاره رسول الله ﷺ لذريته وأهل بيته هو غاية الشرف. ومن ردّ شريفا فقيرا طلب تزويج ابنته يخاف عليه من المقت والله غنىّ حميد، وكذلك أخذ علينا العهود إذا مررنا على شريف أو شريفة على قوارع الطريق يسألان الناس أن ندفع لهما ما نقدر عليه من الدراهم أو الطعام أو الثياب أو نعرض عليهم الإقامة عندنا

لنقوم لهم بالكفاية الشرعية حيث استطعنا ذلك، ويقبح على من يدعى محبة رسول الله ﷺ أن يمر على أولاده وهم على قوارع الطرق يسألون الناس فلا يعطيهم شيئا والله غفور رحيم انتهى كلامه رضى الله عنه بحروفه.

وأخرج الملا فى سيرته أنه ﷺ قال: «استوصوا بأهل بيتى خيرا فإنى أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصمه أخصمه الله ومن أخصمه الله أدخله النار». وفى الصحيح أن بنت أبى لهب لما هاجرت إلى المدينة قيل لها لن تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار. فذكرت ذلك للنبى ﷺ فاشتد غضبه ثم قال على المنبر: «ما بال أقوام يؤذونى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله» أخرجه كثير من أهل السنن.

وأخرج الطبرانى والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثا سألته أن يثبت قائمكم وأن يعلم جاهلكم ويهدى ضالكم، فلو أن رجلا صعد بين الركن والمقام فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار». وأخرج الطبرانى عن ابن عباس: «بغض بنى هاشم والأنصار كفر، وبغض العرب نفاق». وأخرج ابن عدىّ والبيهقى فى شعب الإيمان عن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يعرف عترتى والأنصار فهو لأحد ثلاث: إما منافق وإما لزنية وإما لغير طهر» يعنى حملته أمه على غير طهر.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ فسمعته وهو يقول: «أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا». وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار» رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين. وعن علىّ رضى الله عنه وكرم وجهه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه إياك

ويبغضنا فإن رسول الله ﷺ قال: «لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار» رواه الطبراني. وروى أحمد مرفوعا من أبغض أهل البيت فهو منافق. وقال ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي». وقال ﷺ: «سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب وعدّ منهم ﷺ المستحل من عترته ما حرم الله».



# فصل

## فى جملة آثار وقصص فى إكرام السلف الصالح وغيرهم لهم رضى الله عنهم

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الإصابة: قال يحيى بن سعيد الأنصارى عن عبيد بن حنين حدثنى الحسين بن علىّ قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت: انزل عن منبر أبى واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر لم يكن لأبى منبر وأخذنى فأجلسنى معه أقلب حصى بين يدىّ، فلما نزل انطلق بى إلى منزله ثم قال لى لو جعلت تغشانا. قال فأتيته يوما وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب فرجع ابن عمر فرجعت معه فلقينى بعد فقال لى لم أرك قلت يا أمير المؤمنين إنى جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرجعت مع ابن عمر، فقال: أنت أحق من ابن عمر فإنما أنبت ما ترى فى رؤوسنا الله ثم أنتم. قال الحافظ سنده صحيح.

وروى أبو الفرج الأصفهانى من طريق عبيد الله بن عمر القواريرى قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشى قال دخل عبد الله بن حسن بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن له وفرة، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه وقال اذكرها عندك للشفاعة، فلما خرج لامه قومه وقالوا فعلت هذا بغلام حدث، فقال: إن الثقة حدثنى حتى كأنى أسمعه من فىّ رسول الله ﷺ إنما فاطمة بضعة منى يسرنى ما يسرها، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها. قالوا فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت، قال إنه ليس أحد من بنى هاشم إلا وله شفاعة

فرجوت أن أكون فى شفاعـة هذا * روى عن عبد الله هذا قال أتيت باب عمر بن عبـد العزيز فى حـاجة فـقال لى إذا كـانت لك حاجـة فأرسل إلىّ واكتـب فإنى أستـحيـى من الله أن أراك على بابى * وروى أن الإمام مـالكا ضربه جـعفـر بن سليمـان ونال منه ما نال وحـمل مغـشيا عليـه ودخل عليه الناس فـأفاق. فـقال أشهـدكم أنى جعلت ضاربى فـى حل، فسئل بعـد ذلك فقال: خـفت أن أموت فألقى النبى ﷺ فـأستحى منه أن يدخل بـعض آله النار بسببى، وقـيل إن المنصور أقاده من جعفـر، فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سـوط عن جسمى إلا وقد جعلته فى حـل لقرابته من رسول الله ﷺ * وحدث الشـيخ الأكبر سيـدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه مسامـرات الأخيار بسنده المتصل إلى عبد الله بن المبارك قال: كان بعض المتقدميـن قد حبب إليه الحج، قال فحدثت أنه ورد الحج فى بعض السنين إلى بغداد عزمت على الخروج مـعهم إلى الحج فاخذت فى كمى خمســمائة دينار وخرجت إلى السوق لأشترى آلة الحج فـبينما أنا فى الطريق عارضتنى امرأة فقالت يرحمك الله إنى امرأة شريفة ولى بنات عراة واليوم الرابع ما أكلنا شيئا. قـال فوقع كلامها فى قلبى فطرحت الخمـسمائة دينار فى طرف إزارها وقلت عـودى إلى بيتك فـاسـتعـينى بهـذه الدنانير علـى وقتك، فـحمـدت الله وانصـرفت، ونزع الله عز وجل من قلبـى حلاوة الخـروج فى تلك السنة فخـرج الناس وحجـوا وعادوا، فـقلت أخرج للقـاء الأصدقاء والسـلام عليهم فـخرجت فجعلت كلما لقيت صديقا وسلمت عليه وقلت له قبل الله حجك وشكر سعيك، يقول لى: وأنت قبل الله حجك، فطال علىّ ذلك فلما كان الليل نمت فرأيت النبى ﷺ فى المنام يقـول لى: لا تعـجب من تهنئـة الناس لك بالحج أغـثت ملهـوفـا وأغنيت ضعيفا فسألت الله تـعالى فخلق فى صورتك ملكا فهو يحج عنك فى كل عام، فإن شئت فحج وإن شئت لا تحج.

وعن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الخلال البغدادى أن بعض أمراء تيمورلنك أخبره أنه لما مرض مرض الموت اضطرب ذات يوم اضطرابا شديدا واسود وجهه وتغير لونه ثم أفاق فذكروا له ذلك فقال: إن ملائكة العذاب أتوه فجاء رسول الله ﷺ فقال لهم اذهبوا عنه فإنه كان يحب ذريتى ويحسن إليهم فذهبوا * وعن شمس الدين محمد بن حسن الخالد قال رأى بعض أصحابنا النبى ﷺ فى المنام ورأى عنده تيمورلنك فقال له وصلت إلى هنا يا عدو الله فقال له النبى ﷺ إليك يا محمد فإنه كان يحب ذريتى * وحكى العلامة ابن حجر الهيتمى عن التقى الفارسى عن بعض الأئمة أنه كان يبالغ فى تعظيم الأشراف فسئل عن سبب تلك المبالغة فقال إن شخصا من الأشراف يقال له مطير قد مات وكان كثير اللعب واللهو فتوقف الأستاذ عن الصلاة عليه فرأى النبى ﷺ فى المنام ومعه فاطمة الزهراء فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته وقالت له أما يسع جاهنا مطيرا * وقال المقريزى حدثنى قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن عبد العزيز البكرى البغدادى الحنبلى قال رأيت فى المنام كأنى بمسجد رسول الله ﷺ وقد انفتح القبر المقدس وخرج منه رسول الله ﷺ وجلس وعليه أكفانه وأشار بيده المقدسة أن تعال فقمت وجئت حتى دنوت منه فقال لى قل للمؤيد يفرج عن عجلان، فانتبهت وصعدت على عادتى إلى مجلس السلطان الملك المؤيد شيخ وأخذت أحلف له أيمانا حرجة أنى ما رأيت عجلان قط ولا بينى وبينه معرفة ثم قصصت عليه رؤياى فسكت وأقمنا حتى انفض المجلس فقام وخرج من مجلسه إلى دركاه القلعة ووقف عند مرماة نشاب استجدها ثم استدعى الشريف عجلان الحسينى أمير المدينة من سجنه وأفرج عنه.

قال واتفق أن الشريف سرداح بن مقبل الحسنى قبض على أبيه مقبل أمير ينبع فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقيم عوضه فى إمرة ينبع ابن أخيه عقيلا

وحمل حتى سجن بالإسكندرية ومات فى سجنه وكحل ابنه سرداح هذا حتى سالت حدقتاه وورم دماغه ونتن وأقام خارج القاهرة مدة وهو أعمى ثم مضى إلى المدينة ووقف تجاه قبر جده المصطفى ﷺ وشكا ما به وبكى ودعا الله تعالى ثم انصرف وبات تلك الليلة فرأى فى منامه رسول الله ﷺ وقد مسح بيده المقدسة على عينيه فانتبه وقد رد الله عليه بصره فاشتهر خبره عند أهل المدينة، وأقام عندهم مدة ثم عاد إلى القاهرة فبلغ السلطان الملك الأشرف برسباى قدومه وأنه يبصر فقبض عليه وطلب المزينين الذين كحلاه وضربهما ضربا مبرحا فأقاما عنده بينة يرتضيها من أتباعه بأنهم شاهدوا الميل وقد أحمى بالنار ثم كحل به سرداح فسالت حدقتاه بحضورهم فكف عنهما، وكذلك أخبر أهل المدينة أنهم شاهدوا سرداحا وهو ذاهب الحدقتين ثم أنه أصبح عندهم وقد أبصر بعد عماه وقص عليهم رؤياه فأفرج عنه حتى مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة * ونقل الشيخ العدوى فى مشارق أنواره عن ابن الجوزى فى كتابه الملتقط أنه كان رجل ببلخ من العلويين نازلا بها وكان له زوجة وبنات فتوفى الرجل، قالت المرأة فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفا من شماتة الأعداء فوصلت فى شدة البرد فأدخلت البنات مسجدا ومضيت لأحتال لهن فى القوت فرأيت الناس مجتمعين على شيخ فسألت عنه فقالوا هذا شيخ البلد فتقدمت إليه وشرحت حالى له فقال أقيمى عندى البينة أنك علوية ولم يلتفت إلىّ فعدت إلى المسجد فرأيت فى طريقى شيخا جالسا على دكة وحوله جماعة فقلت من هذا فقالوا ضامن البلد وهو مجوسى فقلت عسى أن يكون عنده فرج فتقدمت إليه وحدثته حديثى وما جرى لى مع شيخ البلد وأن بناتى فى المسجد ما لهن شىء يقتتن به فصاح بخادم له فخرج فقال قل لسيدتك تلبس ثيابها فدخل وخرجت ومعها جوار فقال لها اذهبى مع هذه إلى المسجد الفلانى واحملى بناتها إلى الدار فجاءت معى وحملت بناتى إلى الدار وقد أفرد لنا دارا فى بيته وأدخلنا الحمام وكسانا ثيابًا فاخرة وأرغد علينا

بألوان الأطعمة. فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد كأن القيامة قد قامت وأن اللواء على رأس محمد ﷺ فأعرض عنه فقال يا رسول الله تعرض عنى وأنا رجل مسلم فقال له أقم البينة عندى أنك مسلم فتحير الرجل، فقال رسول الله ﷺ نسيت ما قلت للعلوية وهذا القصر للشيخ الذى هى فى داره الآن، فانتبه الرجل وهو يبكى ويلطم وبعث غلمانه فى البلد وخرج هو بنفسه يدور على العلوية فأخبر أنها فى دار المجوسى فجاء إليه فقال: أين العلوية فقال عندى فقال إنى أريدها قال ما إلى هذا سبيل، قال هذه ألف دينار وتسلمها إلىّ فقال لا والله ولا بمائة ألف دينار، فلما ألحّ عليه قال له المنام الذى أنت رأيته أنا أيضًا رأيته والقصر الذى رأيته لى حق وأنت تتعزز علىّ بإسلامك والله ما دخلت بيتنا إلا وقد أسلمنا كلنا على يديها عادت بركاتها علينا. ورأيت رسول الله ﷺ فقال لى هذا القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنت من أهل الجنة * وحدث سيدى عبد الوهاب الشعرانى قال أخبر السيد الشريف بزاوية الحطاب رحمه الله تعالى قال ضرب كاشف البحيرة شريفا فرأت رسول الله ﷺ تلك الليلة فى منامه وهو يعرض عنه فقال يا رسول الله ما ذنبى قال تضربنى وأنا شفيعك يوم القيامة، فقال يا رسول الله ما أتذكر أنى ضربتك فقال أما ضربت ولدى فقال نعم، فقال ما وقعت ضربتك إلا على ذراعى هذا ثم أخرج ﷺ ذراعه متورما كخلايه النحل نسأل الله العافية.

وقال المقريزى حدثنى الرئيس شمس الدين محمد بن عبد الله العمرى قال سرت يوما فى خدمة القاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة من منزله حتى جاء إلى بيت الشريف عبد الرحمن الطباطبى المؤذن ومعه نوابه وأتباعه فاستأذن عليه فخرج من منزله وعظم عليه مجيء المحتسب إليه وأدخله منزله فدخلنا معه وجلسنا بين يديه على مراتبنا فلما اطمأن به الجلوس قال للشريف: يا

سيد حاللنى قال لم أحالك يا مولانا قال لما صعدت البارحة إلى القلعة وجلست بين يدى مولانا السلطان يعنى الملك الظاهر برقوق فجئت أنت وجلست فوقى فى المجلس قلت فى نفسى كيف يجلس هذا فوقى بحضرة السلطان ثم لما قمنا وكان الليل ونمت رأيت رسول الله ﷺ قال لى يا محمود تأنف أن تجلس تحت ولدى، فبكى عند ذلك الشريف عبد الرحمن، وقال يا مولانا ومن أنا حتى يذكرنى رسول الله ﷺ فبكى الجماعة وسألوه الدعاء وانصرفنا.

وعن سيدى محمد الفارسي أنه قال كنت أبغض أشراف المدينة بنى حسين لأنه كان يرى منهم ما يخالف ظاهره السنة، فقال لى النبى مناما يا فلان باسمى ما لى أراك تبغض أولادى، قلت حاشا لله ما أكرههم يا رسول الله وإنما كرهت ما رأيت من فعلهم، فقال لى مسألة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب قلت بلى يا رسول الله قال هذا ولد عاق، فلما انتبهت صرت لا ألقى منهم أحدا إلا بالغت فى إكرامه وقد تقدمت هذه القصة فى خصائصهم. قال ابن حجر الهيتمى قال تعالى لنبيه فى عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء]، ولم يقل إنى برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب.

قلت وحدثنى أحد الأجلاء قال كان أمير من أمراء العراق شديد المحبة للأشراف كثير التعظيم والإجلال لهم فكان إذا حضر أحدهم فى مجلسه لا يجلسه إلى فى الصدر وإن كان هناك من هو أكثر منه مالا وأعظم جاها من أبناء الدنيا فدخل عليه مرة شريف وفى المجلس عالم ذو منزلة فلم يسع الشريف إلا الجلوس فوقه لاستحقاقه وعلمه بأن ذلك يرضى الأمير، فظهرت الكراهية فى وجه العالم وتكلم بما لا ينبغى فأعرض الأمير عن حديثه وانتقل إلى حديث آخر ثم بعد أن تنوس هذا الأمر سأله عن ولد له يطلب العلم فأجابه بأنه ما زال يحفظ المتون ويقرأ الدروس وأنه علمه كذا وقرأ له كذا ورتب له درسا فى الصباح وآخر فى

وقت آخر، واخـذ يخبره بأحواله فـقال له هلا رتبت له نسبـا وعلمته شرفـا حتى يكون من أولاد النبي  فـقال وقـد غفل عمـا اقتـرفه: هذا لا يكون بالتـرتيب والتعليم وإنما هو بسـابق عناية لا مدخل للكسب فيـها، فصاح به الأمـير إذا كنت تعلم هذا يا خبـيث فلماذا أنفت من جلوس الشريف فـوقك والله لا تطأ مجلسى أبدا ثم أمر بطرده فطرد.

***

# الخاتمة

## فى بيان فضل الصحابة وأن محبة آل البيت لا تجد نفعا إذا خالطها بغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن أصحابه ﷺ قد صحبوه فى السراء والضراء * ولازموه فى الشدة والرخاء * وفدوه بالأموال والأرواح * وجالدوا أمامه بالسيوف والرماح * ووالوا من والاه * وعادوا من عاداه * ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم وكانوا يحبون الخير لأقارب رسول الله ﷺ أكثر من أقارب أنفسهم. هذا سيدهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما أسلم أبوه يوم الفتح وهنأه رسول الله ﷺ بذلك قال والله لإسلام أبى طالب كان أحب إلىّ من إسلامه، وما ذاك إلا لأنى أعلم أنه أحب إليك يا رسول الله. وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أسلم العباس عم النبى ﷺ قال والله لإسلامه أحب إلىّ من إسلام الخطاب لأنه أحب إلى رسول الله ﷺ وقد نال المهاجرين منهم فى ابتداء الإسلام من معاداة قريش وآذاهم لهم وتعذيبهم إياهم بأنواع العذاب ما لا تثبت له الجبال والرواسخ وهم مع ذلك لا يبغون بدين الله بدلا ولا يصدهم عن محبة رسوله صادّ. ولا تنسى الأنصار رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، فقد واسوه ﷺ والمهاجرين من أصحابه بأموالهم وفدوه بنفوسهم حتى ظهر أمر الله.

وانظر رحمك الله إلى جواب سيدهم سعد بن معاذ حين قال ﷺ قبيل وقعة بدر أشيروا علىّ فأجابه من المهاجرين أبو بكر وعمر والمقداد رضى الله عنهم فأحسنوا فلم يقنع ﷺ بأجوبتهم وكرر قوله أشيروا علىّ ثلاث مرات فقال سعد

رضى الله عنه والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجَلْ قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع أمرك فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا إنا لصبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون. وهذه فى الحقيقة صفات الصحابة عموما المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين.

## تنبيه:

قال الفخر الرازى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيه منصب عظيم للصحابة رضوان الله عليهم لأنه تعالى قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة] فكل من أطاع الله كان مقربا عند الله تعالى فدخل تحت قوله: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله ﷺ وحب أصحابه، وهذا المنصب لا يسلم إلى على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة. قال ﷺ: «مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا». وقال ﷺ: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتهم» ونحن الآن فى بحر التكليف وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات وراكب البحر يحتاج إلى أمرين أحدهما السفينة الخالية من العيوب والثقوب، والثانى الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك

الكواكب كان رجاء السلامة غالبـا فلذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمـد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصـحابة فرجوا من الله أن يفـوزوا بالسلامة والسعادة فى الدنيا والآخرة اهـ.

فمن فـضائلهم رضوان الله عليهم بـوجه العموم قـوله ﷺ: «احفظونى فى أصحـابى وأصـهارى فمـن حفظنى فـيهم حـفظه الله فى الدنيا والآخـرة ومن لم يحفظنى فيهـم تخلى الله عنه، ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه». وقال ﷺ: «أكرموا أصحـابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحـد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

**فائدة نفيسة:**

نقل الحافظ السيوطى عن الإمام السـبكى رحمهما الله تعالى أن الخطاب فى الحديث لمن أسلم بعد الفتح، وقوله أصـحابى المراد بهم من أسلم قبل الفتح، قال ويرشد إليـه قوله ﷺ: «لو أن أحدكم أنفق...إلخ»، مع قـوله تعالى: ﴿...لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ... ۝١٠﴾ [الحديد] فالحديث على هذا فى حق المتـقدمين قبل الفتح ويدخل من بعدهم فى حكمهم فإنهم بالنسبة إلى من بعـدهم كالذين من قبلهم بالنسبة إليهم، قال يعنى السبكى وسمعت شيـخنا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله يذكر فى مجلسه فى الوعظ تأويلا آخـر يقول إن النبى ﷺ له تجليـات يرى فيـها من بعـده فيكون الكلام منه ﷺ فى تلك التـجليات خـطابا لمن بعده فى حق الصـحابة الذين قـبل الفتح وبعده ا هـ.

وقال ﷺ: «إن الله اخـتارنى واخـتار لى أصـحابى وجـعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فـعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» رواه الطبرانى وقوله صرفا ولا عدلا أى فرضا ولا نفلا. وعن

ابن عمر قال: لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره.

وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه». وعن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يكثرون وأصحابي يقلون فلا تسبوهم، لعن الله من سبهم». وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين». وقال ﷺ: «إذا أراد الله برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه». وقال ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم». وقال ﷺ: «إن شرار أمتي أجرؤهم على صحابتي». وقال ﷺ: «سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى إلي يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على هدى». وقال ﷺ: «شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي». وقال ﷺ: «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة». وقال ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا». قال العلقمي هذا علم من أعلام النبوة علم به ﷺ وأمرنا أن نمسك عما شجر بين الصحابة أي وجوبا وما وقع بينهم من الحروب والمنازعات التي قتل بسببها كثير منهم فتلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا ونرى الكل مأجورين في ذلك؛ لأنه صدر منهم باجتهاد والمجتهد في مسألة ظنية مأجور ولو أخطأ.

وقال المناوي في شرح قوله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي. . .إلخ» وخص الوعيد بالبعدية لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وإيذاء بعضهم زعما منهم الحب لبعض آخر، وهذا من باهر معجزاته. وقد كان في حياته حريصا على حفظهم والشفقة عليهم.

أخرج البيهقى عن ابن مسعود قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا لا يبلغنى أحد منكم على أحد من أصحابى شيئًا فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر» قال وإن ملحدا تعرض إليهم وكفر نعمة قد أنعم الله بها عليهم فجهلٌ منه وحرمان وسوء فهم وقلة إيمان إذ لو لحقهم نقص لم يبق فى الدين ساق قائمة لأنهم النقلة إلينا، فإذا جرح النقلة دخل الطعن فى الآيات والأحاديث، وبذلك ذهاب الأنام وخراب الإسلام إذ لا وحى بعد المصطفى وعدالة المبلغ شرط لصحة التبليغ ا هـ.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمى فى كتابه «أسنى المطالب فى صلة الأقارب»: يلزم المسلم أن يتأدب مع صحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته بالترضى عنهم ومعرفة فضلهم وحقهم والإمساك عما شجر بينهم مع نزاهة كل منهم عن ارتكابه شيئا يعتقد حرمته، بل كل منهم مجتهد فهم مجتهدون مثابون المحق منهم بعشرة أجور المخطئ بأجر واحد، والعقاب واللوم والنقص مرفوع عن جميعهم، فتفطن لذلك وإلا زلت قدمك وحق هلاكك وندمك اهـ.

وقال العلامة اللقانى فى شرح جوهرته الكبير وسبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر له بالاجتهاد أن الحق فى هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة الإمام العادل فى قتال البغاة فى اعتقاده، وقسم عكسه سواء بسواء، وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر استحقاقه لذلك، وبالجملة فكلهم معذورون مأجورون، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وتحقق عدالتهم اهـ.

وقال العلامة السعد: والذى اتفق عليه أهل الحق أن المصيب فى جميع ذلك عليٌ رضى الله عنه والتحقيق أنهم كلهم عدول متأولون فى تلك الحروب وغيرها من المخاصمات والمنازعات لم يخرج شيء منها أو أحدا منهم عن عدالته إذ هم مجتهدون ا هـ.

**تنبيه:**

اطلعت للحافظ السيوطى علي رسالة سماها إلقام الحجر لمن زكى ساب أبى بكر وعمر، نقل فيها الاتفاق على فسق ساب مطلق الصحابة إذا لم يستحل ذلك وإذا استحله فهو كافر؛ لأن أدنى مراتبه أنه محرم وفسق واستحلال الحرام كفر؛ إذا كان تحريمه معلوما من الدين بالضرورة، وتحريم سب الصحابة كذلك قال: وهو من الكبائر لأن الكبيرة مع ما صححه المتأخرون كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة. وممن صحح ذلك ابن السبكى فى جمع الجوامع، وسبهم كذلك وما أجرأ فاعله على الله ورسوله وأقل اكتراثه بالدين أظنّ الخبيث لعنه الله أن مثل هؤلاء يستحق السب وهو مبرأ تقيّ نقى مستأهل للمدح والثناء. كلا والله بفيه الحجر بل إذا ظن أنهم يستحقون السب اعتقدنا أنه يستحق الحرق وزيادة ا هـ.

وقال المناوى فى شرح قوله ﷺ: «من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، هذا شامل لمن لابس القتل لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب متأولون، فسبهم كبيرة ونسبتهم إلى الضلال أو الكفر كفر ا هـ. وقال القاضى عياض فى الشفاء: سب الصحابة وتنقيصهم حرام ملعون فاعله. قال وقال مالك: من قال أن أحدا منهم على ضلال قتل ومن شتمهم بغير هذا نكل نكالا شديدا اهـ.

هذا فى مطلق الصحابة وأما سب أحد الشيخين أبى بكر وعمر أو أحدا الختنين عثمان وعلىّ فيعلم حكمه مما نقله السيوطى فى رسالته المذكورة عن الإمام السبكى حيث قال ورأيت الشيخ تقى الدين السبكى صنف كتابًا سماه خيرة الإيمان الجلى لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، بسبب رافضى وقف فى الملأ وسب الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة فاستتيب فلم يتب فحكم المالكى بقتله وصوبه السبكى فيما فعل وألف فى تصويبه الكتاب المذكور، وذكر فيه عن القاضى حسين من أصحابنا وجهين فيمن سب أحد الشيخين أو الختنين يكفر إن لم يستحل لأن الأمة أجمعت على إمامتهم. والثانى يفسق ولا يكفر ثم نقل عن الحنفية نقولا كثيرة بعضها بالتكفير وبعضها بالتضليل. ثم مال السبكى إلى تصحيح التكفير لمآخذ ذكرها ثم نقل عن المالكية والحنابلة نقولا كذلك ا هـ.

ولنكتف بهذا هنا ونذكر شيئا من فضائل الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم ونرتبهم بحسب الاستحقاق لا بحسب الاتفاق:

## أبو بكر الصديق رضى الله عنه:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... (٤٠)﴾ [التوبة]. قال المفسرون الصاحب هو أبو بكر وهو المنزل عليه السكينة؛ لأن النبى ﷺ ما زالت عليه السكينة. قال الحسن البصرى رضى الله عنه: عاتب الله تعالى جميع أهل الأرض غير أبى بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾ [الليل] نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه كما فى التفاسير، وعنه رضى الله عنه قال قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدمه لأبصرنا. قال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله

ثالثهما» أخرجه البخاري ومسلم. وأخرجا عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الناس أحب إليك. قال: «عائشة». فقلت: من الرجال. قال: «أبوها». قال قلت: ثم من، قال: «عمر بن الخطاب إن الله تعالى يكره فوق السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق فى الأرض». وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه: «ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» رواه مسلم. وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: مرض النبى ﷺ فاشتد مرضه فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس، فقال: «مرى أبا بكر فليصل بالناس» فعادت فقال: «مرى أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف» فأتاه الرسول فصلى بالناس فى حياة رسول الله ﷺ. أخرجه البخارى ومسلم.

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال يا محمد لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبى بكر. وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى». وعن عمر بن الخطاب أنه قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. رواه الترمذى وقال صحيح.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر». وقال ﷺ: «إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله» رواه البخارى.

وعن عليّ رضى الله عنه أنه قال: أيها الناس أخبرونى من هو أشجع الناس؟ قالوا: أنت، قال: إنى ما بارزت أحد إلا انتصفت منه، ولكن أخبرونى بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم فمن قال أبا بكر أنه لما كانوا يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه، فلهذا كان أشجع الناس. ذكره السيوطى فى الرسالة المذكورة. وفيها وفى «أسنى المطالب لابن حجر المكى» أخرج البزار وأبو نعيم فى فضائل الصحابة عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: أيها الناس أخبرونى بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم. فمن قال أبو بكر، لقد رأيت رسول الله ﷺ وقد أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتله وهم يقولون أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا. قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع عليّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته. قال: أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبونى؛ فوالله لساعة من أبى بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

وأخرج البزار عن أسيد بن صفوان قال: لما توفى أبو بكر سجى بثوب فارتجت المدينة بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض رسول الله ﷺ، وجاء عليّ كرم الله وجهه مسرعا مسترجعا وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر فقال: رحمك الله أبا بكر كنت أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم عناء وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحدهم على الإسلام وآمنهم على الصحابة وأحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب وأكثرهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم من رسول الله ﷺ وأشبههم به

هديا وخلقا وسنا وأوثقهم عنده وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وعن المسلمين خيرا.

## عمر الفاروق رضى الله عنه:

أخرج الترمذى عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب»، وروى عن ابن عمر أن رسول ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا له وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر. وعن ابن عباس لما أسلم عمر نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. رواه ابن ماجه. وعنه قال: لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا. وأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال]. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا غلق الفتنة وأشار بيده إلى عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم» رواه البزار. وقال ﷺ: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خرّ لوجهه». وقال ﷺ: «إن الشيطان ليفرَق منك يا عمر». وقال ﷺ: «عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة». وقال ﷺ: «قال لى جبريل ليبك الإسلام على موت عمر». وروى الترمذى عن جابر بن عبد الله أن عمر قال لأبى بكر: أخير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال له: أما إنك إن قلت ذلك فلقد سمعته ﷺ يقول: «ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر». وقال ﷺ: «ما فى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر». وعن علىّ كرم الله وجهه قال: كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر. رواه غير واحد.

وعن أسماء بنت عميس قالت دخل رجل من المهاجرين على أبى بكر وهو يشتكى فى مرضه فقال له أتستخلف علينا عمر وقد عتا علينا ولا سلطان له فكيف

لو ملكنا كان أعـتى وأعتى فكيف تقول لله إذا لقـيته؛ فقـال أبو بكر: أجلسونى، فلما أجلسوه قال: أبالله تعرفونى فإنى أقول إذا لقيته استخلفت عليهم خير أهلك. وقال مـعاوية لصعـصعة بن صـوحان صف لى عـمر بن الخطاب، قال كـان عالما برعيته عادلا فى نفسه قليل الكبر قبولا للعـذر سهل الحجاب مفتوح الباب متحرى الصواب بعيـدا من الإساءة رفيقا بالضـعيف غير صـخاب كثير الصـمت بعيدا من العبث.

وفى طبقات ابن السبكى عن أبى بكرة رضى الله عنه قال وقف أعرابى على أميـر المؤمنين عمر بن الخطـاب رضى الله عنه فقال يا عـمر الخيـر جزيت الجنة * اكس بنياتى وأمهنه * أقـسم بالله لتفعلنه * فقال عمـر: وإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال الأعرابى: إذًا أبا حـفص لأمضينه * قال: فإن مضـيت يكون ماذا؟ قال والله عنهن لتسـألنه * يوم يكون الأعطيـات ثنه * أى ثمـة أبدل الميم نونا وهى لغـة. والواقف المسئول بينهنه * إمـا إلى نار وإما جنة * فبكى عمر حتى اخـضلت لحيته وقال لغلامه يا غلام اعطه قميصى هذا لذلك اليوم لا لشعره ثم قال والله لا أملك غيره. وقال أبو بكر الخرائطى: رحـم الله عمر ما كان أنظره بنور الله فى ذات الله وأفرسه. كان والله كما قال الشاعر:

بصير بأعقاب الأمور برأيه * كأن له فى اليوم عينا على غد

وورد فيهما قوله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد لا يرفعن أحد من هذه الأمة كتـابه قبل أبى بكر وعمر». وقوله ﷺ: «إن الله تـعالى أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السمـاء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبـى بكر وعمر». وقال ﷺ: «إن لكل نبى خاصـة من أصحابه، وإن خاصتـى من أصحابى أبو بكر وعمر». وقال ﷺ: «حب أبى بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق». وقال ﷺ: «خير أمتى أبو بكر وعمر». وقال ﷺ: «سيـد كهول الجنة أبو بكر وعمر». وقال ﷺ:

«صالح المؤمنين أبو بكر وعمر». وقال ﷺ: «ما قدمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدمهما». وقال ﷺ: «أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا» وأخرج السبابة والوسطى والبنصر.

## عثمان ذو النورين رضي الله عنه:

قال ﷺ عثمان بن عفان ولـيى فى الدنيا ووليى فى الآخرة. وقال ﷺ: «عثمان حَيِيٌّ تستحى منه الملائكة». وقال ﷺ: «عثمان أحيى أمتى وأكرمها». وقال ﷺ: «لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان». وقال ﷺ: «ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا، كلهم قد استوجبوا النار، الجنة بغير حساب». وقال ﷺ: «ليدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم» قال المناوى قيل هو عثمان. وقال ﷺ: «لكل نبى خليل فى أمته وإن خليلى عثمان بن عفان». وقال ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض». قال ابن اسحاق أنفق عثمان فى جيش العسرة نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وروى عن قتادة أنه قال حمل عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا. وعن حذيفة بن اليمان أن عثمان رضى الله عنه جاء يومئذ بعشرة آلاف دينار، فصبت بين يديه ﷺ فجعل ﷺ يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها» وروى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس، فقال عثمان على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث الناس فقال عثمان علىّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال: ما على عثمان بعد هذا اليوم». وقد ورد فى حق الثلاثة قوله ﷺ: «إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت».

## على المرتضى رضى الله عنه وكرم وجهه:

قال ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». وقال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابهـا فمن أراد العلم فليـأت الباب». وقـال ﷺ: «أنا دار الحكمة وعليّ بابـها». وقال ﷺ: «خير إخوانى عليّ وخيـر أعمامى حمزة». وقال ﷺ: «عليّ أخى فى الدنيا والآخرة». وقال ﷺ: «من آذى عليا فقد آذانى». وقال ﷺ: «من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله». وحينما استخلفه على المدينة يوم غزوة تبوك أرجف المنافقون بأنه إنما خلفه استثقالا فـأخذ سلاحه وأتى النبى ﷺ وأخبره الخبر فقال: «كذبوا ولكن خلفـتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من مـوسى إلا أنه لا نبى بعدى» فقـال رضيت ثم رضيت ثم رضـيت. قال السيـد أحمد دحـلان فى سيـرته: قال أهل السنة إن هارون عليه الســلام إنما كان خليـفة فى حياة مـوسى عليه الســلام حين ذهب إلى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة عليّ رضى الله عنه فى أهل النبى ﷺ مدة غيبتـه فى تبوك كما كان هارون خليفة موسـى عليهما السلام فى قومه مدة غـيبته عنهم للمناجاة، وقـد استخلف ﷺ غـير عليّ فى مرات أخـر فهل يلزم أن يكون مستـحقا الخلافة؟ ولما سـئل عليّ رضى الله عنه وكرم وجهه فى زمن خـلافته هل أوصى لك النبى ﷺ بالخلافة قال: لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى إلا سيفى وردائى، ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم. وقول الرافضة إن ذلك منه تقـية كذب وزور فإنه كان رضى الله عنه ذا قوة وشـجاعة وقد تـوافرت عشيـرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة ومنعـة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ا هـ.

وأخرج الحافظ محب الدين بن النجار فى تاريخ بغداد عن ابن المعتمر مسلم ابن أوس وحارثة بن قـدامة السعـدى أنهما حضـرا عليّ بن طالب رضى الله عنه

يخطب وهو يقول سلونى قبل أن تفقدونى فإنى لا أسأل عن شىء دون العرش إلا أخبرت عنه. وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن علىّ كرم الله وجهه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا سؤولا.

وفى صحيح مسلم عنه رضى الله عنه أنه قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبى ﷺ إلىّ لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق. وأخرج ابن أبى شيبة وأبو نعيم عنه رضى الله عنه أنه قال على منبره: أما إنى فقأت عين الفتنة وإنى وايم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق على لسان نبيكم ﷺ ثم قال سلونى فإنكم لا تسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة إلا حدثتكم. وأخرج ابن أبى شيبة عن زيد بن ربيع قال بلغ عليا أن أناسا يقولون فيه فصعد المنبر فقال: أنشد الله رجلا سمع من النبى ﷺ شيئا إلا قام فقام جماعة فقالوا نشهد أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وقال ﷺ: «أقضاكم علىّ» وأخرج الحاكم وصححه عن علىّ قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء، فضرب صدرى ثم قال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» فوالذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين. وروى أن سبب قوله ﷺ أقضاكم علىّ أنه عليه الصلاة والسلام كان جالسا مع جماعة من الصحابة فجاء خصمان فقال أحدهما يا رسول الله: إن لى حمارا وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حمارى، فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم فقال ﷺ: «اقض بينهما يا علىّ» فقال علىّ لهما: كانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدودا والآخر مرسلا؟ فقالا كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها فقال علىّ صاحب البقرة ضامن الحمار. فأقر ﷺ حكمه وأمضى قضاءه. وكان ﷺ إذا

غضب لا يجترئ أحد أن يكلمه إلا عليّ. وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: «النظر إلى عليّ عبادة».

ومما ورد فى الأربعة رضوان الله عليهم قوله ﷺ: «أرأف أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم عليّ». وقوله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الإسلام ما نفعنى مال أبى بكر، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرًا لقد تركه الحق وماله من صديق. رحم الله عثمان تستحييه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد فى مسجدنا حتى وسعنا، رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار». وقد ورد فى فضائل كل منهم رضوان الله عليهم من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ودوّن فى التواريخ والسير وكتب التفسير والأثر من محاسن أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم ما لو أريد استقصاءه لملأ مجلدات، وكان ما فات أكثر مما هو آت.

## تنبيه:

قال اللقانى فى هداية المريد لجوهرة التوحيد: أفضل الصحابة أهل الحديبية وأفضل أهل الحديبية أهل أحد وأفضل أهل أحد أهل بدر، وأفضل أهل بدر العشرة وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة وأفضل الأربعة أبو بكر. والمراد من الأفضلية أكثرية الثواب. ومما يجب اعتقاده أن أفضل الصحابة رضى الله عنهم أجمعين هم الذين ولوا الخلافة بعده ﷺ وبيّن عليه الصلاة والسلام مدتها بقوله الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا فقد صرح كلامه عليه الصلاة والسلام بأن الأئمة الأربعة أفضل الصحابة لأن هذه المدة كانت دور ولايتهم وترتيبهم فى الفضل على حسن ترتيبهم فى الخلافة؛ فالأسبق فيها أكثرهم فضلا ثم التالى فالتالى عند أهل السنة وإماميهم أبى الحسن الأشعرى وأبى منصور الماتريدى فأفضلهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى رضوان الله عليهم.

قال الإمام الغـزالى: حقيقة الفضل مـا هو عند الله تعالى وذلك مما لا يطلع عليه إلا رسـول الله ﷺ. وقد ورد الثناء عليهم فى أخـبار كثيـرة ولا يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه إلا المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الأحوال، فلولا فهمهم ذلك لما رتبو الأمر، كذلك إذا كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف، ونحوه قول السعد: على هذا وجدنا السلف والخلف، والظاهر أنهم لو لم يكن لهم دليل على ذلك لمـا حكموا به، وقولـه فى شرح المقاصـد يدل لنا إجمالا أن جمهور عظماء المـلة وعلماء الأمة أطبقوا على ذلك، وحسن الظن بهم يقض بأنهم لو لم يعرفوه بدلائل وأمارات لما أطبقوا، ا هـ كلام اللقانى ملخصا.

قلت وقول السـعد جـمهور عظمـاء الملة يفيد أن ذلك لـيس إجماعـيا وهو كذلك فى الترتيب بين عـثمان وعلىّ رضى الله عنهما، فقـد قال بعض أكابر أهل السنة بتفضيل علىّ على عثمان ومنهم سـفيان الثورى والإمام مالك فى قوله الأول ثم رجع عنه إلى تفضيل عثمان على علىّ. قال النووى وهو الصحيح وقال اللقانى وهو الأصح. أمـا تفضـيل أبى بكر على الثـلاثة وعمـر على الاثنين، فـهو أمـر إجماعى كما قاله العلامة ابن حجر فى خاتمة الفتاوى، وعبارته: قد صح عن علىّ نفسه خير الناس بعد النبى ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم رجل آخر، فقال له ابنه محمد رضى الله عنهمـا ثم أنت يا أبت فقال: ما أبوك إلا رجل من المسلمـين، ومن ثمة أجمع أهل السنة من الصحابة والتابعيـن فمن بعدهم على أن أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر ثم عمـر رضى الله عنهمـا. وفى موضع آخر منهـا سئل أى ابن حجر هل الأفـضلية بين الخلفاء الأربعة قطعـية أم اجتهاديـة إذ لا شاهد من العقل يقطع بأفـضلية لعضـهم على بعض، والأخبـار الواردة فى فضائلـهم متعـارضة، فأجـاب رحمه الله بقله: إن أفـضلية أبى بكر رضى الله عنه على الثلاثة ثم عـمر رضى الله عنه على الاثنين مجمع عليها عند أهل السنة لا خلاف بينهم فى ذلك،

والإجماع يفيد القطع. وأما أفضلية عثمان على علىّ رضى الله عنهما فظنية لأن بعض أكابر أهل السنة كسفيان الثورى فضل عليا على عثمان، وما وقع فيه خلاف بين أهل السنة فظنى. وأما الأحاديث فى ذلك فمتعارضة جدا بل علىّ كرم الله وجهه؛ ورد فيه من الأحاديث المشعرة بفضله ما لم يرد فى الثلاثة وأجاب عنه بعض الأئمة بأن سبب ذلك أنه عاش إلى زمن الفتن وكثرت أعداؤه وقدحهم فيه وحطهم عليه وغمصهم لحقه بباطلهم، فبادر حفاظ الصحابة رضوان الله عليهم وأخرجوا ما عندهم فى حقه ردعا لأولئك الفسقة المارقين والخوارج المخذولين. وأما بقية الثلاثة فلم يقع لهم ما يدعو الناس إلى الإتيان بمثل ذلك الاستيعاب" ا هـ.

وقال الإمام الشعرانى فى المنن: قال أبو بكر بن عياش لو أتانى أبو بكر وعمر وعلىّ فى حاجة لبدأت بحاجة علىّ قبلهما لقرباه من رسول الله ﷺ، ولئن أخرّ من السماء إلى الأرض أحب إلىّ من أن أقدمه عليهما. قال اللقانى: ولا يخفى صحة شمول الفضل لسائر أسبابه من علم وشجاعة وحسن رأى وقرب من الله ورسوله ومحبة لهما ومنهما.

**لطيفة:**

قرأت فى طبقات ابن السبكى فى ترجمة الحارث بن سريج ابن داود بن علىّ الأصفهانى قال سمعت الحارث بن سريج يقول: سمعت إبراهيم بن عبد الله الحجبى يقول للشافعى رضى الله عنه: ما رأيت هاشميا قط يفضل أبا بكر وعمر رضى الله عنهما على علىّ كرم الله وجهه غيرك، فقال الشافعى علىّ ابن عمى وابن خالتى. وأنا رجل من بنى عبد مناف وأنت رجل من بنى عبد الدار، فلو كانت هذه مكرمة كنت أولى بها منك ولكن ليس الأمر على ما يحسب. وروى عنه رضى الله عنه أنه قال: اضطرب الناس بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فلذلك استعملوه على رقاب الناس.

## تنبيه:

قد ظهر لذهني القاصر معنى شريف وحجة قوية فى تأييد مذهب أهل السنة الجامعين بين حب الصحابة والآل وتزييف مذهب المفرقين بينهم من أهل الرفض والضلال، وذلك أن جميع ما ثبت من فضل الصحابة رضوان الله عليهم هو فى الحقيقة من فضائل أهل بيت النبوة زيادة على ما نالوه بانتسابهم إلى حضرة صاحب الرسالة من الفضل، فإنهم صحابة جدهم الأعظم ﷺ لا صحابة نبى سواه وهم وإن كانوا فى أنفسهم فضلاء نبلاء حائزين من كل وصف جميل محضه ولبابه إلا أن أفضليتهم على من سواهم من الأمة إنما هى لفوزهم بتلك الصحبة الشريفة التى لا يواريها عمل عامل ولا اجتهاد مجتهد، وما يلزمها من اقتباس الأنوار والأسرار فضلا عن فدائهم له ﷺ بكل ما قدروا عليه من نفس ومال وولد ووالد. وخوض كثير منهم أمامه فى غمار الحروب ومخالطتهم المنايا حتى ظهر دين الله المبين وخفقت أعلامه فى العالمين وإلا فإنا نجد فى التابعين فمن بعدهم من هو أعلم وأعبد وأورع وأزهد وأكثر حربا وجهادا وطعانا وجلادا من بعض الصحابة الذين لم تطل صحبتهم له ﷺ ولم يلازموه فى كثير من مواطنه الشريفة وغزواته المظفرة، فتلخص أنه ﷺ هو الأصل الذى تفرع عنه فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وكذا جميع ما ثبت لأهل البيت من الفضل هو أيضا يحسب من فضائل الصحابة الكرام زيادة على ما اتصفوا به من الفضل والفخر بصحبتهم له ﷺ فإنهم ذرية نبيهم الذى استنقذهم من ظلمات الشرك وزجهم فى أنوار التوحيد وفازوا بما فازوا به بسببه من السيادة الدنيوية والسعادة الأبدية وذريته ﷺ بعضه، فكما أن فضل الكل وهو النبى عليه الصلاة والسلام هو زيادة فى فضل أصحابه الذى هو متفرع عن فضله فكذلك بعضه وهم الذرية الطاهرة فإن فضلهم فرع عن فضله ﷺ فقد علمت أن أصل الفضلين فضل الذرية وفضل الصحابة هو

رسول الله ﷺ وهما فرعان عن أصل واحد، فمهما حصل لأحدهما من مدح أو ذم لا بد وأن يتعدى إلى الآخر، فلعنة الله على من فرق بينهما بولاء بعضهم ومعاداة البعض، فإن من عادى أحدهما لم ينفعه ولاء الآخر، وكان عدو الله ورسوله ولمن التزم ولاءه أيضا. وانظر إلى سيدنا زيد بن عليّ زين العابدين رضى الله عنهما حين خرج على هشام بن عبد الملك فقد بايعه وقتئذ ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه، فقال: كلا بل أتولاهما، فقالوا: إذن نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة من حينئذ، وجاءت طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرأ ممن يتبرأ منهما فقبلهم وقاتلوا معه فسموا الزيدية غير أنهم خلف من بعدهم خلف خرجوا عن مذهب زيد وبقى عليهم الاسم فقط، فمن أراد سعادة الدارين فعليه بمحبة الطرفين ملتزما فى ذلك الطريق الشرعى غير حائد عن سنن السلف والخلف وهو مذهب أهل السنة السنية وهداة الملة الحنيفية. أماتنا الله على ذلك غير مبدلين ولا مغيرين ولا مفتونين ولا فاتنين، قال ابن السبكى فى الطبقات: قال الإمام عبد الله بن المبارك رضى الله عنه:

إنى امرؤ ليس فى دينى لغامزه * لين ولست على الإسلام طعانا

فلا أسب أبا بكر ولا عمرا * ولن أسب معاذ الله عثمانا

ولا الزبير حوارىّ الرسول ولا * أهدى طلحة شتما عزا وهانا

ولا أقول علىّ فى السحاب إذاً * قد قلت والله ظلما ثم عدوانا

وهى قصيدة طويلة منها

الله يدفع بالسطان معضلة * عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل * وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

وقيل إن هارون الرشيد أعجبه ولما بلغه موت ابن المبارك أذن للناس أن يعزوه فيه، وقال أليس هو القائل الله يدفع البيتين ا ه فإن قلت تفريعك هذين الفرعين أعلى البيت والصحابة رضوان الله عليهم عن الأصل الواحد وهو النبى ﷺ بالصفة التى ذكرتها يشعر بتفضيل الذرية الطاهرة على الصحابة الكرام رضوان الله على الجميع. قلت نعم، وهو كذلك من حيث إنهم ذريته ﷺ لا من كل حيثية، وهذا مما لا يشتبه فيه عاقل فإن الذرية الطاهرة من هذه الحيثية أفضل العالمين على الإطلاق، فإن ذلك يرجع لتفضيله عليه الصلاة والسلام، ولا يشك مؤمن بأنه أفضل الخلق كافة وهو بمنزلة قولك: جدهم عليه الصلاة والسلام أفضل من كل جد، وهل يرتاب فى هذا مؤمن.

ومن هنا قال الإمام السبكى وغيره فى حق فاطمة رضى الله عنها لا نفضل على بضعة رسول الله ﷺ أحدا فأنت تراهم وصفوها بالبضعية التى هى داعية التفضيل على أمها خديجة ومريم وعائشة، ولم يقولوا لا نفضل على زوجة علىّ أو أم الحسين أو غير ذلك من أوصافها الشريفة، وهذا المعنى موجود فى سائر أولاده وبناته ﷺ وأولاد فاطمة خصوصية منه ﷺ فهم من تلك الحيثية أفضل الناس، وصرح بأفضلية فاطمة على جميع الصحابة الشيخين فمن عداهما الشمس العلقمى وقيده المناوى بحيثية البضعية. قال فإن الشيخين بل الخلفاء الأربعة أفضل منها من حيث المعرفة والعلم ورفع منار الإسلام، ولهذا نبه العلامة اللقانى فى شرح الجوهرة بعد ذكر أفضلية الخلفاء الأربعة على من سواهم بقوله لا يشكل الحكم المذكور بالذرية الشريفة؛ لأنه لا من حيث البضعية المكرمة يعنى وأما من حيث البضعية فالذرية أفضل فاعلم ذلك واعرف منزلة أهل بيت النبوة وما خولهم الله من الفضل الوهبى واختصهم به من الشرف القربى:

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا * تمسك فى أخراه بالسبب الأقوى

هم القوم فاقوا العــالمين مناقــبــا * محاســنهم تحكى وآياتهم تروى

موالاتهم فــــرض وحبهــم هدى * وطاعتــــهم ودّ وودهــم تقــوى

قال فى الإسعــاف واعلم أن المحبة المعتــبرة الممدوحة هى مــا كانت مع اتباع لسنتهم المحبوبة إذ مجرد محبتهم من غير اتباع لسنتهم كما تزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا تفيــد مدعيها شيئا من الخير بل تكون عليه وبالا وعذابا فى الدنيا والآخرة، على أن هذه ليست محبة فى الحقــيقة، إذ حقيقة المحبة الميل إلى المحبــوب وإيثار محبوباتــه ومرضياته على مــحبوبات النفس ومرضــياتها والتأدب بأخلاقه وآدابه، ومن ثم قال علىّ كرم الله وجهه: لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر أى لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان.

وأخرج الدارقطنى مرفوعا يا أبا الحسن أمــا أنت وشيعتك فى الجنة وأن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإســلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقــال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم، فــإنهم مشركون. قال الدارقطنى ولهذا الحــديث عندنا طرقات كثيــرة ا هـ وقوله: الشيعــة والرافضة أراد غلاة الشــيعة فيكون عطــف الرافضة عليهم عطــف مرادف أو عطف تفسيــر، أما شيعتهم الذين لم يفارقوا ســنتهم من محبة الصحابة ومعرفة منازلهم فى الفضل فهم القوم الأخيار المبرءون من كل عار وهم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك ففى الجنة» قال موسى بن علىّ بن الحسين بن على -وكان فاضلا - عن أبيه عن جــده إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل عملــنا كأصحاب علىّ رضى الله عنه مدة خــلافته وجــميع من نصره وخــاض معه غمــرات الحروب فى جميع وقائعــه كوقعة الجمل وصفين والنهروان فــإنه رضى الله عنه وكرم وجهه هو المصيب فى جميــعها وغيره مخطئ، والكل على هدى لاجــتهادهم فى طلب الحق

ما عدا الخوارج الذين منهم أهل النهروان فإنهم كفرة فجرة لأنهم كانوا يعتقدون معاذ الله كفره بالتحكيم وكفر كثير من الصحابة والمسلمين الذين رضوا بذلك، وهناك طائفة من الشيعة يقال لهم المفضلة يقولون بتفضيل عليّ كرم الله وجهه على سائر الصحابة مع اعتقاد فضلهم وعدلهم والاعتراف بما خولهم الله من الشرف وعلو المنزلة وهؤلاء وإن خالفوا ما انعقد عليه الإجماع من تفضيل الشيخين على عليّ فهم أهل بدعة خفيفة لا يتفرع عليها خلل فى الدين، فقد ذكرهم الحافظ السيوطى ولم يطعن فى عقيدتهم، ونقل عن الحافظ الذهبى وغيره أنهم عدول ثقات وأن روايتهم مقبولة وشهادتهم غير معلولة، هذا مع تدقيق الذهبى فى رجال الحديث إلى درجة أدته للطعن فى بعض الثقات الذين زكاهم غيره قال ومن هذه الطائفة كثير من السلف والخلف وإذا أطلق لفظ الشيعة فى الكتب فالمراد منه هؤلاء ما لم يقيد بالغلو كأن يقال شيعيّ غال أو غلاة الشيعة. أما الروافض فهم ما بين كافر وفاسق لأنهم رفضوا موالاة كثير من الصحابة رضى الله عنهم. والكافر من يطعن فى السيدة عائشة أم المؤمنين وينكر صحبة أبيها رضى الله عنهما ولا تشتبه بما سأتلوه عليك من كلام العارف الشعرانى فإنه إنما قصد من الروافض مفضلة الشيعة كما تصرح به عبارته. قال: أخذ علينا العهود أن لا نسب الروافض الذين يقدمون عليا فى المحبة على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لا الذين يسبونها لا سيما إن كانوا أشرافا من أولاد فاطمة رضى الله عنهما أو من أهل القرآن، فإياك يا أخى من قولك فلان رافضى كلب فإن ذلك لا ينبغى والذى نعتقده أن التغالى فى محبة عليّ والحسن والحسين وذريتهما مطلوب بنص القرآن فى قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ والود ثبات المحبة ودوامها فنسكت عن سب من قدم جده فى المحبة على غيره ما لم يعارض النصوص؛ وذلك لأن تعصب الإنسان لأجداده الذين حصل له بهم الشرف أمر واقع فى كثير من العلماء فضلا عن آحاد الناس من الشرفاء، ولذلك قالوا من النوادر شريف

سنىّ يقـدم أبا بكر وعمر عـلى جده علىّ رضى الله عنهم وكـان الإمام الشـافعى رضى الله عنه ينشد:

**إن كان رفضا حب آل محمد ✽ فليشهد الثقلان أنى رافضى**

فاعـذر يا أخى كل من قامت له شبـهة ما لم تهـدم شيئـا من أصول الدين الصريحـة كانكار صحبـة أبى بكر لرسول الله ﷺ أو براءة عائشـة رضى الله عنها واترك أمر الروافض إلى الله يفصل بينهم يوم القيامة اهـ.

وهو كلام عـارف كبيـر منصف خبـير رضى الله عنه ونفعـنا به. وقوله من النوادر شريف سنىّ ليس هو مقابل الرافضى بمعناه الحقـيقى وإنما هو مقابل الشيعى المفضل، ولذلك قـال بعده يقـدم أبا بكر وعمر على جـده علىّ رضى الله عنهم. والرافضى لا يقر لأبى بكـر وعمر بفضل لا مقـدما ولا مؤخرا بل يصفـهما بما لا ينبغى، ومـعاذ الله أن يقـول بذلك أحد ممن صحت نـسبتـه إلى رسول الله ﷺ، وحاصل العبارة أن الشريف السنى الموصوف بتقديم أبى بكر وعمر على جده علىّ من النوادر وأكثرهم سنيون لا يقولون بالتقديم مع حب الشيخين والصحابة جميعا والاعتراف بفضلهم، وهذا لا يضرهم فى دينهم شيئا ولا سيما إذا كان التقديم فى المحبة لا التفضـيل وهو الذى ينبغى حمل العبارة عليه فافهـم والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال جامـعه هذا ما أراد الله إبرازه على يد هذا العبـد الضعيف وتم تبيـيضه وطبعه فى بيروت فى شهر شوال سنة ١٣٠٩ بعد أن بقى فى مسـودته إحدى عشرة سنة وأسأله سبـحانه أن يتقبله منى ويرضى به عنى وصلى الله على سيـدنا محمد وعلى جميع الأنبـياء والمرسلين وآلهم وصحبهم أجـمعين عدد خلقه ورضـا نفسه وزنة عرشـه ومداد كلماته كلما ذكـره الذاكرون وغفل عن ذكـرهم الغافلون وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين،،

**يوسف النبهانى**

قال جامعه خطر لى أن أذكر شيئًا من ترجمة حالى فأقول أنا الفقير يوسف ابن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهانى نسبة لبنى نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان قرية اجْزِمْ بصيغة الأمر الواقعة فى الجانب الشمالى من أرض فلسطين من البلاد المقدسة وهى الآن تابعة لقضاء حيفا من أعمال عكا فى ولاية بيروت. ولدت فى القرية المذكورة سنة خمس وستين تقريبا وقرأت القرآن على سيدىَ ووالدى الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ إسماعيل النبهانى وهو الآن فى عشر الثمانين كامل الحواس قوى البنية جيد الصحة مستغرق اكثر أوقاته فى طاعة الله تعالى، كان ورده فى كل يوم وليلة ثلث القرآن ثم صار يختم فى كل أسبوع ثلاث ختمات والحمد ﷺ على ذلك: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس] ثم أرسلنى حفظه الله وجزاه عنى أحسن الجزاء إلى مصر لطلب العلم فدخلت الجامع الأزهر يوم السبت غرة محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وثمانين بعد المائتين والألف وأقمت فيه إلى رجب سنة تسع وثمانين وفى هذه المدة أخذت ما قدره الله لى من العلوم الشرعية ووسائلها عن أساتذة الشيوخ المحققين * وجهابذه العلماء الراسخين * من لو انفرد كل واحد منهم فى إقليم * لكان قائد أهله إلى جنة النعيم * وكفاهم عن كل من عداه فى جميع العلوم * وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم * أحدهم بل أوحدهم الأستاذ العلامة المحقق * والملاذ الفهامة المدقق * شيخ المشايخ وأستاذ الأساتذة سيدى الشيخ إبراهيم السقا الشافعى المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين، وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل فى قراءة الدروس حتى صار أكثر علماء العصر تلاميذه إما بالذات أو بالواسطة لازمت دروسه رحمه الله ثلاث سنوات وقرأت عليه شرحى التحرير والمنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى بحاشيتيهما للشرقاوى والبجيرمى. وقد أجازنى رحمه الله بإجازة فائقة

وهى هذه بحروفها بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها * ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها * بحسن الإنشاء وصحيح الخبر * يا من تجيز من استجارك وافر الهبات * وتجيز من استجارك واعر العقبات * فيغدو موقوفا على مطالعة الاثر * ما بين مؤتلف الفضل ومتفقه * ومختلف العدل ومفترقه * جيد الفكر سليم الفطر * يجتنى بمنتج قياسه شريف الفوائد * ويجتنى بمبهج اقتباسه شريف الفوائد * ويحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر * فإن صادفه مديد الأمداد * وصادقه مزيد الانجاد * وصفا مشرب الهنى ولا كدر * ووجد درر الجواهر يا نعم الوجادة * بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة * ولا أشر ولا بطر * فبذل المعروف وبدل المنكر * إذ ليس عنده إلا صحاح الجوهر * معتنى وما اقتنى غيرها عندما عثر * لا يزور ولا يدلس * ويطهر ولا يدنس * ولا يعانى الشرر * فيا من منّ على هذا المنقطع الغريب * ومنحه منحة المتصل القريب * امنحنى السلامة فى داره ونجنى من سقر * ومنك موصول صلات صلواتك ومقطوعها * وسلسل سلسبيل تسليماتك ومجموعها * على سندنا وسيلتنا محمد سيد نوع البشر * وعلى آله وأصحابه * وحملة شريعته وأحبابه * ومن اقتفى أثرهم وعلى جهاد نفسه صبر * أما بعد فلما كان الإسناد مزية عالية * وخصوصية لهذه الأمة غالية * دون الأمم الخالية * اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر * إذ الدعىّ غير المنسوب * والقصىّ غير المحسوب * وسليم البصيرة غير أعشى الفكر * ولما كان منهم الإمام الفاضل * والهمام الكامل * والجهبذ الأبر * اللوذعىّ الاريب * والالمعىّ الأديب * ولدنا الشيخ يوسف ابن الشيخ إسماعيل النبهانى الشافعى أيده الله بالمعارف ونصر * طلب منى إجازة ليتصل بسند سادتى سنده * ولا ينفصل عن مددهم مدده * وينتظم فى سلك قد فاق غيره وبهر * فأجبته وإن لم أكن لذلك أهلا * رجاء أن تفشوا العلم وأنال

من الله فضلا * والجو فى القيامة مما للكاتمين من الضرر * فقلت أجزت ولدى المذكور بما تحور لى روايته * أو تصح عنى درايته * من كل حديث وأثر * ومن فروع وأصول * ومنقول ومعقول * وفنون اللطائف والعبر * كما أخذته عن الأفاضل السادة * الأكابر القادة * مسددى العزائم فى استخراج الدرر * منهم أستاذنا العلامة ولىّ الله المقرب * وملاذنا الفهامة الكبير تعيلب * بواه الله أسنى مقر * عن شيخه الشهاب أحمد الملوى ذى التآليف المفيدة * وعن شيخه أحمد الجوهر الخالدى صاحب التصانيف الفريدة * عن شيخهما عبد الله بن سالم صاحب الثبت الذى اشتهر * ومنهم شيخنا محمد بن محمود الجزائرى عن شيخه على عبد القادر بن الأمين * عن شيخه أحمد الجوهرى المذكور الموصوف بالعرفان والتمكين * عن شيخه عبد الله بن سالم الذى ذكره غبر * ومنهم الشيخ محمد صالح البخارى * عن شيخه رفيع الدين القندهارى * عن الشريف الإدريسى عن عبد الله بن سالم راوى أحاديث الأبر * ومنهم سيدى محمد الأمير * عن والده الشيخ الكبير * عن أشياخه الذين حوى ذكرهم ثبته الشهير * ومنهم غير هؤلاء رحم الله الجميع ولى وللمجاز ولهم أكرم وغفر * هؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير * وجمع كثير * كالشيخ الحفنى والشيخ على الصعيدى وغيرهما فمسانيدهم مسانيدى فما أكرمها من نسبة وأبر * وقد سمع منى المجاز كتبا عديدة * معتبرة مفيده * كالتحرير والمنهج وفقه الله لمحاسن ما به أمر آمين بجاه طه الأمين * فى ١٨ رجب سنة ١٢٨٩ هجرية الفقير إليه سبحانه إبراهيم السقا الشافعى بالأزهر عفى عنه وعن أشياخى المذكورين سيدى الشيخ المعمر العلامة السيد محمد الدمنهورى الشافعى المتوفى سنة ألف ومائتين وست وثمانين عن نحو التسعين سنة * وسيدى العلامة الشيخ إبراهيم الزور الخليلى الشافعى المتوفى سنه ألف ومائتين وسبع وثمانين عن نحو السبعين * وسيدى العلامة الشيخ أحمد الأجهورى الضرير

الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين عن نحو الستين * وسيدى العلامة الشيخ حسن العدوى المالكى المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو الثمانين * وسيدى العلامة الشيخ السيد عبد الهادى نجا الإبيارى المتوفى سنة ألف وثلاثمائة وخمسة وقد أناف على السبعين * رحمهم الله أجمعين * وجمعنى بهم فى مستقر رحمته بجاه سيد المرسلين * ومنهم وحيد مصر وفريد هذا العصر سيدى العلامه الشيخ شمس الدين محمد الإنبانى الشافعى شيخ الجامع الأزهر الآن لازمت دروسه سنتين فى شرحى الغاية لابن القاسم والخطيب وفى غيرهما، وسيدى العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى * وسيدى العلامة الشيخ عبد القادر الرافعى الحنفى الطرابلسى شيخ رواق الشوام * وسيد العلامة الشيخ يوسف البرقاوى الحنبلى شيخ رواق الحنابة حفظهم الله وأطال أعمارهم وأدام النفع بعلومهم * ولى شيوخ غيرهم منهم من هم موجود الآن * ومنهم من قد دخل فى خبر كان * وكلهم علماء أعلام * جزاهم الله عنى خيرا وجمعنى بهم فى دار الكرامة والسلام.

# فهرس الكتاب

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |